مَا فُهِمَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فِي أَبْوَابِ النَّوَاسِخِ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ

د . عبد العزيز بن أحمد البجادي
قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة القصيم ـ السعودية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ:

الحَمْدُ للهِ ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ **عَلَى رَسُولِ** اللهِ ، وآلِه وصَحْبِه .

وبَعْدُ ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ العُلَمَاءِ فِي فَهْمِ عِبَارَةِ سِيبَوَيْهِ مِمَّا اشْتُهِرَ فِي الوَسَطِ النَّحْوِيِّ شُهْرَةً وَاسِعَةً ، فَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ تَجِدَ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ اخْتِلَافَ نَحْوِيِّينَ ، يَدَّعِي كُلُّوَاحِدٍ مِنْ طَرَفَيْ الخِلَافمُوَافَقَتَهُ لِسِيبَوَيْهِ، ولَعَلَّ السَّبَبَ الأَسَاسَ فِي ذَلِكَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ أَلَّفَ كِتَابَهُ قَبْلَ وُجُودِ طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ ، وقَبْلَ اسْتِقْرَارِ طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنْهَا ، عَلَى أَنَّ مُعَايَشَةَ الكِتَابِ ومُلَازَمَتَهُ تَقْدَحَانِ فِي النَّفْسِ طَرَائِقَ التَّفْكِيرِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ ، وتُكْسِبَانِ مَلَكَةً فِي إِدْرَاكِ مَا يَرُومُهُ حِينَ يَلُتُّ ويَعْجِنُ فِي سَبِيلِ إِيصَالِ مَا فِي ذِهْنِه ، وقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ مُلَازَمَتِي لِلْكِتَابِ أَكْثَرَ مِنْ عِقْدٍ ونِصْفأَخَذَتْ تُبْدِي لِيَ اطِّرَادًا لَدَى سِيبَوَيْهِ فِي طَرِيقَةِ صَوْغِ المَعْلُومَةِ ، أَجِدُهَا فِي أَكْثَرِ أَبْوَابِ كِتَابِه ، وأَوْقَفَتْنِي عَلَى مَعَانٍ لَمْ تَتَنَاوَلْهَا شُرُوحُ الكِتَابِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ ، وعَلَى أَحْكَامٍ يُقَرِّرُ المُتَأَخِّرُونَ غَيْرَهَا ، ويَجْعَلُونَ مَا سِوَاهَا خَطَأً ، مَعَ أَنَّ قَوْلَ سِيبَوَيْهِ صَرِيحٌ فِي تَصْحِيحِهَا ، فَانْبَعَثَتْ لَدَيَّ الهِمَّةُ فِي كَشْفِ ذَلِكَ الاطِّرَادِ فِي أَبْوَابٍ مِنَ الكِتَابِ ، فَاخْتَرْتُ أَبْوَابَ النَّوَاسِخِ ، واسْتَخْرَجْتُمَا فِيهَا مِمَّا قَرَّرَ النَّحْوِيُّونَ سِوَاهَا ، ونَسَبُوهُ إِلَى سِيبَوَيْهِ ، ونَاقَشْتُ أُولَئِكَ – عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ – بِكَلَامِه جُمْلَةً جُمْلَةً ، لِأَصِلَ إِلَى الوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ سِيبَوَيْهِ ، مُؤَيِّدًا كُلَّ مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ إِمَّا بِصَرِيحِ عِبَارَتِه ، وإِمَّا بِإِيمَاءٍ لَهُ مَشْفُوعٍ بِفَهْمِ عُلَمَاءَ آخَرِينَ ، ووَسَمْتُ البَحْثَ بِاسْمِ « **مَا فُهِمَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فِي أَبْوَابِ النَّوَاسِخِ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ** » ،ومَا أَرَى هَذَا الجُهْدَ إِلَّا مُشَارَكَةً قَلِيلَةً فِي خِدْمَةِ التُّرَاثِ النَّحْوِيِّ ، أَعْرِضُهَا عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الاخْتِصَاصِ لِيُقَوِّمُوا مَا فِيهَا مِنْ عِوَجٍ ، ويَسُدُّوا مَا بِهَا مِنْ خَلَلٍ ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وصَلَّى وسَلَّم عَلَى خَاتَمِ المُرْسَلِينَ .

كَانَ وَأَخَوَاتُهَا

*** المَسْأَلَةُ الأُولَى :**

قَالَ سيبَوَيْه:« قُولُ :كَانَ عَبدُ اللهِ أَخَاكَ،فَإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ عَن الأُخُوَّة»[1] .

وعَلَّقَ الصَّفَارُ بقَوْلِه : « لَمْ تُرِدْ أَنْ تُخْبِرَ عَنِ الأُخُوَّةِ ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ بِهَا عَنْ زَيْدٍ ، ومُرَادُهُ : أَنْ تَكُونَ أَخْبَرْتَ عَنْهَا بِأَنَّهَا كَانَتْ » [2] .

يُرِيدُ : أَنَّ مَعْنَى الأُخُوَّةِ هِيَ المُخْبَرُ بِهَا عَنْ زَيْدٍ ، ولَيْسَ العَكْسَ .

وفِيمَا قَالَهُ نَظَرٌ :

أ – فَإِنَّ مُرَادَ سِيبَوَيْهِ : أَنَّ غَرَضَكَ مِنْ كَلَامِكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنِ زَمَنِ الأُخُوَّةِ ، لَا أَنَّ المُخَاطَبَ يَعْلَمُ زَيْدًا ولَا يَعْلَمُ بِالأُخُوَّةِ ، أَوْ يَعْلَمُ بِالأُخُوَّةِ ولَا يَعْلَمُ زَيْدًا ، كَمَا يَكُونُ فِي بَابِ « المُبْتَدَأ والخَبَر » ، فَمَعْنَى الإِخْبَارِ عَنِ الأُخُوَّةِ الحَدِيثُ عَنْ زَمَنِهَا ، ولَمْ يُرِدْ أَنْ يَجْعَلَ الأُخُوَّةَ مُبْتَدَأً ، كَمَا يَفْهَمُهُ الصَّفَارُ .

ب – وقَدْ حَاكَمَهُ الصَّفَارُ أَوَّلًا إِلَى هَذَا المَعْنَى ، ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَرَادَ الإِخْبَارَ اللُّغَوِيَّ لَا الاصْطِلَاحِيَّ ، مَعَ أَنَّ الصَّفَارَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى هَذَا كُلِّه ؛ فَإِنَّ سِيبَوَيْهِ كَانَ يُقَرِّرُ أَنَّ الغَرَضَ مِنْ الفِعْلِ التَّامِّ نَحْوُ : « ضَرَبَ » ذِكْرُ حَدَثٍ مُتَعَلِّقٍ بِالفَاعِلِ والمَفْعُولِ ، والدَّلَالَةُ عَلَى زَمَانِ الحَدَثِ ، وأَمَّا الغَرَضُ من « كَانَ » ونَحْوِهَا فَالدَّلَالَةُ عَلَى الزَّمَانِ فَقَطْ ، ولَا دَلَالَةَ فِيهَا عَلَى حَدَثٍ ، ثُمَّ قَالَ « **تَقُولُ : كَانَ عَبدُ اللهِ أَخَاكَ ، فَإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ عَن الأُخُوَّة** » ، **أَيْ : أَنَّ الحَدَثَ** مَفْهُومٌ مِنْ لَفْظِ « أَخَاكَ » ، ولَيْسَ مِنْ « كَانَ » ، فَلَسْتَ إِذَنْ تُرِيدُ الإِخْبَارَ عَنْ حَدَثٍ، وإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ أَنَّ الأُخُوَّةَ كَانَتْ فِي المَاضِي ، قَالَ : « **وَأَدْخَلْتَ « كَانَ » لِتَجْعَل ذَلِكَ فِيمَا مَضَى** » ، **أَيْ** : لَمْ تَقْصِد بِـ « كَانَ » الدَّلَالَةَ عَلَى حَدَثٍ ، كالضَّرْبِ ، والقِيَامِ ، والقُعُودِ ، وإِنَّما أَرَدْتَ أَنْ تَدُلَّ بِهَا عَلَى الزَّمَانِ المَاضِي .

*** المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ :**

وَاضِحٌ مِنْ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ – فِي المَسْأَلَةِ المُتَقَدِّمَةِ – : « **تَقُولُ : كَانَ عَبدُ اللهِ أَخَاكَ ، فَإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ عَن الأُخُوَّةِ ،وَأَدْخَلْتَ « كَانَ » لِتَجْعَل ذَلِكَ فِيمَا مَضَى** » أَنَّهُ يُجَرِّدُ

« كَانَ » مِنْ دَلَالَتِهَا عَلَى الحَدَثِ ؛ إِذْ لَوْ أَرَادَ دَلَالَتَهَا عَلَى الحَدَثِ لَجَعَلَ الأُخُوَّةَ مُخْبَرًا بِهَا ، لَا مُخْبَرًا عَنْهَا .

وقَدْ صَرَّحَ بِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى الحَدَثِ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ [٣] ، وابنُ جنِّي [٤] ، وأَبُو البَرَكَاتِ الأَنْبَارِيُّ [٥] ، والعُكْبَرِيُّ[٦] ، وابنُ يَعِيشَ[٧]، والرَّضِيُّ [٨]، وشَهَّرَهُ أَبُو حيَّانَ ، ونَصَرَهُ ، وحَكَاهُ مَذْهَبَ المُبَرِّدِ ، وابنِ السَّرَّاجِ ، والفَارِسِيِّ ، وابنِ جنِّي ، والجُرْجَانِيِّ ، وابنِ بَرْهَانَ ، والأُسْتَاذِ أَبِي عَلِيٍّ ، قَالَ : « وَهُوَ ظَاهِرُ مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ » [٩] .

وأَنْكَرَ ذَلِكَ ابنُ مَالِكٍ ، وأَثْبَتَ أَنَّ فِيهَا مَعْنَى الحَدَثِ ، ثُمَّ قَالَ : « ومَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ .. هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ ، والمُبَرِّدِ ، والسِّيرَافِيِّ ، وأَجَازَ السِّيرَافِيُّ الجَمْعَ بَيْنَ كَانَ ومَصْدَرِهَا تَوْكِيدًا ، ذَكَرَ ذَلِكَ فِي « شَرْحِ الكِتَابِ » .. » [١٠] ، وعِبَارَةُ سِيبَوَيْهِ لَا تَنْصُرُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ .

*** المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ :**

ذَكَرَ سِيبَوَيْهِ تَصَرُّفَ الأَفْعَالِ النَّاسِخَةِ ، ثُمَّ قَالَ : « **فَهُوَ** كَائِنٌ ، ومَكُونٌ، كَمَا كَانَ ضَارِبٌ ، ومَضْرُوبٌ » [١١].

وعَلَّقَ الصَّفَّارُ بِقَوْلِهِ : « وهَذَا المَوْضِعُ قَدْ دَارَتْ فِيهِ رُؤُوسُ النَّحْوِيِّينَ ، لِأَنَّهُ فِي نِهَايَةِ الإِشْكَالِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَفْعُولًا إِنَّمَا يَكُونُ أَبَدًا مَبْنِيًّا مِنْ «فُعِلَ» ، لِأَنَّ مَعْنَى «مَضْرُوب» : «ضُرِبَ» ، كَمَا أَنَّ مَعْنَى «مُكْرَمٍ» : «أُكْرِمَ» ؟ فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُقَالُ : «مَكُونٌ» إِلَّا مِنْ «كِينَ» ، وكَيْفَ يُقَالُ : كِينَ ، ولَيْسَ يَجُوزُ حَذْفُ أَحَدِ اسْمَيْهَا ؛ لِأَنَّهُمَا مُبْتَدَأٌ وخَبَرٌ؟ ولَا يَجُوزُ حَذْفُ أَحَدِهِمَا اخْتِصَارًا ، فَكَيْفَ أَنْ يُحْذَفَ ولَا يُرَادُ أَلْبَتَّةَ ؟ فَقَوْلُه : «مَكُونٌ» صَعْبٌ » [١٢] .

وهَذَا غَرِيبٌ مِنَ الصَّفَّارِ – عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ – فَإِنَّ سِيبَوَيْهِ لَا يُرِيد بِـــ «مَكُون» إِلَّا مَا يُرِيدُ بِـــ «مَضْرُوب» إِذَا كَانَتْ «كَانَ» تَامَّةً ، مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى تَصَرُّفِ الفِعْلِ ، إِذْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : النَّصْرُ مَكُونٌ ، فَيَكُونُ ضَمِيرُ النَّصْرِ نَائِبَ فَاعِلٍ ، ولَمْ يُرِدْ هُنَا «كَانَ» النَّاقِصَةَ ؛ لِأَنَّهَا لَا يُسْتَغْنَى بِأَحَدِ اسْمَيْهَا عَنِ الآخَرِ ، فَإِنَّهُ لا يُقَالُ : «مَكُونٌ قَائِمٌ» ، بِحَذْفِ «زَيْدٍ» ، وإِنَابَةِ «قَائِمٍ» ، كَمَا لا يُقَالُ فِي الفِعْلِ : «كِينَ قَائِم» .

والسِّيرَافِيُّ – أَيْضًا – اعْتَقَدَ مَا اعْتَقَدَ الصَّفَّارُ مِنْ جَعْلِ «المَكُون» مِنْ «كَانَ» النَّاقِصَة ، إِلَّا أَنَّهُ أَوْجَدَ لَهَا تَخْرِيجًا ، فَقَالَ : « وأَمَّا «مَكُونٌ» فهُوَ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ، غَيْرَ أَنَّ «كَانَ» لَا يَجُوزُ نَقْلُهَا إِلَى مَا لَا يُسَمَّ فَاعِلُهُ – بِأَنْ يُقَامَ الخَبَرُ مقَامَ الاسْمِ – لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا : كَانَ زَيْدٌ أَخَاكَ ؛ فَزَيْدٌ والأَخُ لَا يَسْتَغْنِي أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ ، كَالْمُبْتَدَأ والخَبَرِ .. ولَكِنَّ الوَجْهَ الَّذِي يَصِحُّ مِنْهُ « مَكُونٌ » أَنْ تَحْذِفَ الاسْمَ والخَبَرَ جَمِيعًا ، وتَصُوغَ « كَانَ » لِمَصْدَرِهَا ، وذَلِكَ المَصْدَرُ يَنُوبُ مَنَابَ الاسْمِ والخَبَرِ ، ويَكُونُ الاسْمُ والخَبَرُ تَفْسِيرًا لَهُ ، فتَقُولُ : كِينَ الكَوْنُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ، فَـ «الكَوْنُ» اسْمُ مَا لَمْ يُسمَّ فَاعِلُهُ لِـ «كِينَ» ، و «زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ» جُمْلَةٌ هِيَ تَفْسِيرُ الكَوْنِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ قَائِلٌ : هَلْ كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا ؟ لَقُلْتَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وإِنَّمَا تُرِيد قَدْ كَانَ ذَلِكَ الكَوْنُ ؟ » [١٣].

ومَا اجْتَهَدَ فِيهِ السِّيرَافِيُّ لَمْ يَدُلَّ عَلَى مُرَادِهِ ؛ فَإِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَجِدَ لِاسْمِ المَفْعُولِ مِنْ «كَانَ» النَّاقِصَةِ تَعْلِيلًا ؛ إِلَّا أَنَّهُ فِي خَاتِمَةِ قَوْلِهِ اضْطُرَّ إِلَى تَفْسِيرِ ذَلِكَ بِـ «كَانَ» التَّامَّةِ – كَمَا تَرَى – !

*** المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ :**

أَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ – حِينَ حَدِيثِهِ عَنْ « كَانَ» التَّامَّةِ – قَوْلَ عَمْرِو بنِ شَأْسٍ :

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا

إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا

ثُمَّ قَالَ : « أَضْمَرَ لِعِلْمِ المُخَاطَبِ بِمَا يَعْنِي ، وَهُوَ «اليَوْمُ» ، وَسَمِعْتُ بَعْضَ العَرَبِ يَقُولُ : «أَشْنَعَا» ، ويَرْفَعُ مَا قَبْلَهُ » [١٤].

يُرِيدُ أَنَّهُ أَضْمَرَ الفَاعِلَ ، وَهُوَ «يَوْمٌ» ، أَيْ : إِذَا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي فِيهِ القِتَالُ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ وقَدْ فَهِمَ الصَّفَّارُ أَنَّ سِيبَوَيْهِ جَعَلَ « كَانَ » فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ تَامَّةً ، فَذَهَبَ يُعَلِّلُ لِامْتِنَاعِ سِيبَوَيْهِ عَنْ جَعْلِهَا نَاقِصَةً بِأَنَّ البَلَاءَ واليَوْمَ ذَا الكَوَاكِبِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، فَلَوْ أَخْبَرَ بِـ « يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ »؛ لَمَا حَصَلَتْ فَائِدَةٌ، وأَنَّ سِيبَوَيْهِ مَالَ إِلَى جَعْلِ «يَوْمًا» ذَا كَوَاكِبَ حَالًا [١٥].

ومَا عَلَّلَ بِهِ – مِنْ عَدَمِ حُصُولِ الفَائِدَةِ – صَحِيحٌ فِي ذَاتِهِ ؛ لَكِنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ – رِوَايَةِ نَصْبِ « اليَوْمِ » ومَا بَعْدَهُ – فَإِنَّ سِيبَوَيْهِ قَدَّمَ فِي الذِّكْرِ الرِّوَايَةَ المَشْهُورَةَ ، ولَيْسَ

فِيهَا شَاهِدٌ ، وإِنَّمَا أَرَادَ بِذِكْرِهَا التَّوْطِئَةَ لِذِكْرِ الرِّوَايَةِ الأُخْرَى – رِوَايَةِ الرَّفْعِ – فَقَالَ : « **سَمِعْتُ بَعْضَ العَرَبِ يَقُولُ** : « **أَشْنَعَا** » ، **وَيَرْفَعُ مَا قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا وَقَعَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبَ أَشْنَعَا** » .

أَيْ : إِذَا حَصَلَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبَ حَالَ كَوْنِهِ أَشْنَعَا ، ولَا يَصِحُّ جَعْلُ «أَشْنَعَا» خَبَرًا ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، وأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ النَّصْبِ ؛ فَيَصِحُّ الإِخْبَارُ بِاليَوْمِ ، ولَا يَصِحُّ الإِخْبَارُ بِأَشْنَعَ ، لِعَدَمِ الفَائِدَةِ ، قَالَ سِيبَوَيْهِ عَنْ رِوَايَةِ النَّصْبِ : « **أَضْمَرَ لِعِلْمِ المُخَاطَبِ بِمَا يَعْنِي ، وَهُوَ «اليَوْمُ»** .. » ، ومُرَادُهُ أَنَّهُ حَذَفَ المَرْفُوعَ لِلْعِلْمِ بِهِ ، وأَبْقَى المَنْصُوبَ ، وَهُوَ « يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ » ، قَالَ الأَعْلَمُ : « أَرَادَ : إِذَا كَانَ اليَوْمُ يَوْمًا ، وأَضْمَرَ لِعِلْمِ المُخَاطَبِ » [١٦] .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ : « قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «أَشْنَعَا» خَبَرَ «كَانَ» ؛ لأَنَّكَ لَا تُفِيدُ بِهِ ، لأَنَّ كُلَّ يَوْمٍ ذِي كَوَاكِبَ فَهُوَ أَشْنَعُ ، وإِنَّمَا هُوَ حَالٌ ، ويَجُوزُ أَنْ تَجِيءَ الحَالُ وإِنْ كَانَتْ لَا تُفِيدُ ، تَجِيءُ مُؤَكِّدَةً، تَقُولُ : هَذِهِ نَارُكَ حَارَّةً ، ولَا تَقُولُ : كَانَتْ نَارُكَ حَارَّةً » ، ثُمَّ ذَكَرَ تَجْوِيزَ أَبِي بَكْرِ بنِ السَّرَّاجِ لِلْخَبَرِيَّةِ هُنَا ، وردَّ عَلَيْهِ [١٧] .

وكَذَلِكَ قَالَ الأَعْلَمُ فِي رِوَايَةِ النَّصْبِ ، فَإِنَّهُ حَمَلَ نَصْبَ « أَشْنَعَا » إِمَّا عَلَى الحَالِ المُؤَكِّدَةِ ، وإِمَّا عَلَى الخَبَرِ المُؤَكِّدِ ، ونَفَى أَنْ يَكُونَ خَبَرًا ؛ لِأَنَّ الخَبَرَ لَا يَكَادُ يَقَعُ إِلَّا لِفَائِدَةٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهَا [١٨] .

* **المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ** :

قَالَ سِيبَوَيْهِ : « **وإِذَا كَانَا مَعْرِفَةً ؛ فَأَنْتَ بِالخِيَارِ ، أَيُّهُمَا مَا جَعَلْتَهُ فَاعِلًا رَفَعْتَهُ ، ونَصَبْتَ الآخَرَ** » [١٩].

وقَد اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَلَى أَقْوَالٍ تَجْتَمِعُ فِي قَوْلَيْنِ :

القَوْلُ الأَوَّلُ :أَنَّ المُتَكَلِّمَ بِالخِيَارِ فِي جَعْلِ أَيِّهِمَا شَاءَ الاسْمَ ، والآخَرِ الخَبَرَ ، وأَصْحَابُ هَذَا القَوْلِ فَرِيقَانِ :

الفَرِيقُ الأَوَّلُ أَطْلَقَ الأَمْرَ دُونَ قَيْدٍ ، ونَقَلَ أَبُو حَيَّانَ هَذَا الإِطْلَاقَ عَنِ المُتَقَدِّمِينَ ، وبَعْضِ المُتَأَخِّرِينَ ، كَالشَّلَوْبِينِ ، وابنِ مَضَاءٍ ، وابنِ طَاهِرٍ، وابنِ خَرُوفٍ ، وابنِ عُصْفُورٍ – فِي

«شَرْحِ الجُمَلِ الصَّغِيرِ» – وحَكَاهُ ظَاهِرَ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ ، والفَارِسِيِّ [٢٠] ، وذَهَبَ الرُّمَّانِيُّ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ [٢١] .

الفَرِيقُ الثَّانِي قَيَّدَهُ بِأَلَّا يَكُونَ المُخَاطَبُ يَعْرِفُ أَحَدَهُمَا ، ويَجْهَلُ الآخَرَ ، إِذِ المَعْرُوفُ الاسْمُ ، والمَجْهُولُ الخَبَرُ ، نَحْوُ : كَانَ أَخُو بِكْرٍ عَمْرًا – إِذَا كَانَ يَعْرِفُ أَخَا بَكْرٍ ، ويَجْهَلُ كَوْنَهُ عَمْرًا – .

وعَزَا السُّيُوطِيُّ هَذَا القَيْدَ إِلَى السِّيرَافِيِّ ، وَابْنِ البَاذِشِ ، وَابْنِ الضَّائِعِ، قَالَ : « وحَمَلُوا كَلَامَ سِيبَوَيْهِ عَلَى مَا إِذا اسْتَوَيَا عِنْد الْمُخَاطَبِ فِي الْعِلْمِ وَعَدَمِه » [٢٢] .

القَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الخَبَرَ مَا تُرِيدُ إِثْبَاتَهُ ، وأَصْحَابُ هَذَا القَوْلِ – أَيْضًا – فَرِيقَانِ :

الفَرِيقُ الأَوَّلُ أَطْلَقَ الأَمْرَ دُونَ قَيْدٍ، والمَعْرُوفُ بِهِ ابنُ الطَّرَاوَةِ[٢٣]، وابنُ أَبِي العَافِيَةِ ، وعَبَّرَ عَنْهُ ابنُ أَبِي العَافِيَةِ بِأَنَّ الخَبَرَ مَا يَصِحُّ أَنْ يُقَدَّرَ جَوَابًا لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَالخَبَرُ فِي قَوْلِكَ : « زَيْدٌ القَائِمُ » ؛ هُوَ القَائِمُ إِنْ جَعَلْتَهُ جَوَابًا لِمَنْ قَالَ : مَنْ زَيْدٌ ؟ والخَبَرُ هُوَ زَيْدٌ إِنْ جَعَلْتَهُ جَوَابًا لِمَنْ قَالَ : مَنْ القَائِمُ ؟ [٢٤] .

الفَرِيقُ الثَّانِي قَيَّدَهُ بِأَلَّا يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَعَمَّ مِنَ الآخَرِ ، نَحْوُ : كَانَ زَيْدٌ صَدِيقِي – إِذَا كَانَ لَهُ أَصْدِقَاءُ غَيْرُهُ – فَإِنَّ الأَعَمَّ مِنْهُمَا حِينَئِذٍ هُوَ الخَبَرُ ، إِمَّا عَلَى الوُجُوبِ كَمَا يَقُولُ ابنُ الصَّائِغِ ، وإِمَّا عَلَى الأَرْجَحِ كَمَا يَقُولُ ابنُ السِّيدِ [٢٥] .

حَكَى هَذِهِ الأَقْوَالَ أَبُو حَيَّانَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الجَمْعَ بَيْنَهَا ، وزَادَ تَفْصِيلًا ، فَقَرَّرَ أَنَّ الخَبَرَ مَا تُرِيدُ إِثْبَاتَهُ إِنْ لَمْ تَكُنِ المَعْرِفَتَانِ شَيْئًا وَاحِدًا ، بِأَنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا قَائِمَةً مَقَامَ الأُخْرَى ومُشَبَّهَةً بِهِ ، نَحْوُ : كَانَتْ عُقُوبَتُكَ عُزْلَتَكَ ، وكَانَ زَيْدٌ زُهَيْرًا ، وعَلَيْهِ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنَّهُ مَعْزُولٌ لَا مُعَاقَبٌ ؛ رَفَعْتَ العُقُوبَةَ ، وإِنْ أَرَدْتَ أَنَّهُ مُعَاقَبٌ لَا مَعْزُولٌ ؛ نَصَبْتَ العُقُوبَةَ ، وإِنْ أَرَدْتَ تَشْبِيهَ زَيْدٍ بِزُهَيْرٍ ، رَفَعْتَ زَيْدًا، وإِنْ أَرَدْتَ تَشْبِيهَ زُهَيْرٍ بِزَيْدٍ؛ نَصَبْتَ زَيْدًا [٢٦] .

وأَمَّا إِنْ كَانَتِ المَعْرِفَتَانِ شَيْئًا وَاحِدًا :

أ – وكَانَا مُسْتَوِيَيْنِ فِي رُتْبَةِ التَّعْرِيفِ ، وكَانَ المُخَاطَبُ يَعْرِفُهُمَا ، وكَانَتِ النِّسْبَةُ مَجْهُولَةً ، نَحْوُ : كَانَ زَيْدٌ أَخَا عَمْرٍو ، وكَانَ أَخُو عَمْرٍو زَيْدًا؛ جَعَلْتَ أَيَّهُمَا شِئْتَ الاسْمَ ،

والآخَرَ الخَبَرَ ، إلَّا إنْ كَانَ أَحَدُهُمَا «أَنَّ» ، أَوْ «أَنْ» المَصْدَرِيَّتَيْنِ ؛ فَإِنَّ الاخْتِيَارَ حِينَئِذٍ : جَعْلُهُمَا الاسْمَ ، وجَعْلُ الآخرِ الخَبَرَ .

ب – وإنْ لَمْ يَسْتَوِيَا فِي رُتْبَةِ التَّعْرِيفِ ؛ كَانَ الاخْتِيَارَ جَعْلُ الأَعْرَفِ مِنْهُمَا الاسْمَ ، والآخَرِ الخَبَرَ ، نَحْوُ : كَانَ زَيْدٌ صَاحِبَ الدَّارِ .

ج – إلَّا إذَا كَانَ الآخَرُ اسْمَ إشَارَةٍ ؛ فَإِنَّهُ يُجْعَلُ حِينَئِذٍ الاسْمَ ، نَحْوُ : كَانَ هَذَا أَخَاكَ ، ولَا يَجُوزُ كَانَ أَخَاكَ هَذَا ، ويُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ اسْمُ الإِشَارَةِ مَعَ الضَّمِيرِ ، فَإِنَّ الأَفْصَحَ حِينَئِذٍ تَقْدِيمُ الضَّمِيرِ ، نَحْوُ : هَا أَنَا ذَا ، ويَجُوزُ : هَذَا أَنَا .

د – وإنْ كَانَ المُخَاطَبُ يَعْرِفُ أَحَدَهُمَا ، ويَجْهَلُ الآخَرَ ، فَالمَعْرُوفُ الاسْمُ ، والمَجْهُولُ الخَبَرُ ، نَحْوُ : كَانَ أَخُو بِكْرٍ عَمْرًا – إذَا كَانَ يَعْرِفُ أَخَا بَكْرٍ ، ويَجْهَلُ كَوْنَهُ عَمْرًا – [٢٧] .

وسِيبَوَيْهِ هُنَا لَمْ يَذْكُرِ المَشِيئَةَ ، ولَا العِلْمَ والجَهْلَ ، ولَا العُمُومَ والخُصُوصَ ، وإنَّمَا ذَكَرَ الفَاعِلِيَّةَ ، وشَبَّهَ الفِعْلَ هُنَا بِالفِعْلِ التَّامِّ ، قَالَ : « **كَمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فِي « ضَرَبَ »** ، **وذَلِكَ قَوْلُكَ : كَانَ أَخُوكَ زَيْدًا ، وكَانَ زَيْدٌ صَاحِبَكَ ، وكَانَ هَذَا زَيْدًا ، وكَانَ المُتَكَلِّمُ أَخَاكَ** »

وَوَاضِحٌ مِنْ تَنْوِيعِهِ الأَمْثِلَةَ أَنَّهُ يَدُورُ كَيْفَمَا دَارَ المَعْنَى ، فَمَتَى صَارَ مَعْمُولَا « كَانَ » مَعْرِفَتَيْنِ صَارَ المَرْجِعُ فِي التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ مَعْنَى الفَاعِلِيَّةِ ، وقَدْ صَدَّرَ كَلَامَهُ بِتَشْبِيهِ « كَانَ » بِـــ « ضَرَبَ » ؛ وذَلِكَ أَنَّكَ تَرْفَعُ مِنْ مَعْمُولَيْ « ضَرَبَ » مَا كَانَ مُسْنَدًا إلَيْهِ فَتَقُولُ : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، إذَا كَانَ الضَّرْبُ حَاصِلًا مِنْ زَيْدٍ ، فَلَمَّا أَسْنَدْتَ إلَيْهِ الضَّرْبَ رَفَعْتَهُ .

ثُمَّ قَالَ : « **وذَلِكَ قَوْلُكَ : كَانَ أَخُوكَ زَيْدًا** » ، أَيْ : أَنَّكَ لَمَّا أَرَدْتَ أَنْ تُفْهِمَ المُخَاطَبَ أَنَّ أَخَاهُ يُسَمَّى زَيْدًا ، جَعَلْتَ الأَخَ مَرْفُوعًا ، لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ بِزَيْدٍ مُسْنَدَةٌ إلَى ذَلِكَ الأَخِ .

ثُمَّ قَالَ : « **وكَانَ زَيْدٌ صَاحِبَكَ** » ، يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ زَيْدٌ مَعْلُومًا لَدَى المُخَاطَبِ ، ولَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ صَاحِبُكَ ؛ جَعَلْتَ زَيْدًا مُسْنَدًا إلَيْهِ ، ورَفَعْتَهُ ، ونَصَبْتَ الآخَرَ.

ثُمَّ قَالَ : « **وكَانَ هَذَا زَيْدًا ، وكَانَ المُتَكَلِّمُ أَخَاكَ** » أَيْ : أَنَّ هَذَا شَأْنُ المَعَانِي مِنْ أُخُوَّةٍ ، وأُبُوَّةٍ ، وإشَارَةٍ ، ونَحْوِ ذَلِكَ ، تَقُولُ : كَانَ هَذَا زَيْدًا ، إذَا رَأَى المُخَاطَبُ المُشَارَ إلَيْهِ ،

ولَمْ يَعْلَمْهُ ، وقَدْ تَعْكِسُ الأَمْرَ إِذَا عَلِمَ زَيْدًا ، ولَمْ يَرَهُ ، فتَقُول : كَانَ هَذَا زَيْدٌ ، وتَقُولُ : كَانَ المُتَكَلِّمُ أَخَاكَ ، إِذَا سَمِعَ المُخَاطَبُ الكَلَامَ ، ولَمْ يَعْلَمْ مَنِ المُتَكَلِّمُ ؟

*** المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ :**

إِذَا كَانَ أَحَدُ مُعْمُولَيْ « كَانَ » مَعْرِفَةً ، والآخَرُ نَكِرَةً ؛ وَجَبَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ جَعْلُ المَعْرِفَةِ هِيَ الاسْمَ ، والنَّكِرَةِ الخَبَرَ ، ومَنَعَ العَكْسَ إِلَّا فِي الشِّعْرِ .

قَالَ : « وَهُمَا فِي « كَانَ » بِمَنْزِلَتِهِمَا فِي الابْتِدَاءِ إِذَا قُلْتَ : عَبْدُ اللهِ مُنْطَلِقٌ ، تَبْتَدِئُ بِالأَعْرَفِ ، ثُمَّ تَذْكُرُ الخَبَرَ ، وذَلِكَ قَوْلُكَ : كَانَ زَيْدٌ حَلِيمًا » [٢٨] .

قَالَ : « فَإِنْ قُلْتَ : كَانَ حَلِيمٌ ، أَوْ رَجُلٌ » أَيْ : قَائِمًا **« فَقَدْ بَدَأْتَ بِنَكِرَةٍ ، ولَا يَسْتَقِيمُ أَنْ تُخْبِرَ المُخَاطَبَ عَنْ المَنْكُورِ »** [٢٩] .

ثُمَّ قَالَ : **« ولَيْسَ هَذَا بِالَّذِي يَنْزِلُ بِهِ المُخَاطَبُ مَنْزِلَتَكَ فِي المَعْرِفَةِ ، فَكَرِهُوا أَنْ يَقْرَبُوا بَابَ لَبْسٍ »**[٣٠] ، أَيْ : أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : كَانَ حَلِيمٌ قَائِمًا ، تَعْلَمُ أَنَّ الحَلِيمَ هُوَ زَيْدٌ ، لَكِنَّ المُخَاطَبَ لَا يَعْلَمُ أَنَّكَ تُرِيدُ زَيْدًا ،

فَهَذَا مَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْزِلَتِكَ فِي المَعْرِفَةِ .

قَالَ : « وَلَا يُبْدَأُ بِمَا يَكُونُ فِيهِ اللَّبْسُ – وهُوَ النَّكِرَةُ – أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ : كَانَ رَجُلٌ مُنْطَلِقًا ، أَوْ : كَانَ إِنْسَانٌ حَلِيمًا ؛ كُنْتَ تُلْبِسُ ؟ لأَنَّهُ لَا يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا إِنْسَانٌ هكَذَا» [٣١] .

يُرِيدُ أَنَّ المَنْكُورَ قَابِلٌ لِأَيِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ فِي الدُّنْيَا إِنْسَانًا حَلِيمًا ، فَكَيْفَ تُخْبِرُ المُخَاطَبَ بِمَا يَعْرِفُهُ ؟ وإِذَا أَخْبَرْتَهُ بِمَا يَعْرِفُهُ ظَلَّ فِي حَيْرَةٍ مِنْ مَقْصُودِكَ ؛ إِذْ يَنْتَظِرُ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا ، وهَذَا مَعْنَى الإِلْبَاسِ .

قَالَ : **« فَكَرِهُوا أَنْ يَبْدَأُوا بِمَا فِيهِ اللَّبْسُ ، وقَدْ يَجُوزُ فِي الشِّعْرِ ، وفِي ضَعْفٍ من الكَلَامِ»** [٣٢]،أَيْ : أَنَّ شَغْلَ « كَانَ » بِالنَّكِرَةِ – وإِنْ كَانَ مَوْضِعَ لَبْسٍ – يَجُوزُ فِي الشِّعْرِ ؛ للضَّرُورَةِ ، لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ فِي القِيَاسِ .

قَالَ : **« حَمَلَهُم عَلَى ذَلِكَ : أَنَّهُ فِعْلٌ بِمَنْزِلَةِ « ضَرَبَ » ، وَأَنَّهُ قَدْ يُعْلَمُ – إِذَا ذَكَرْتَ زَيْدًا ، وجَعَلْتَهُ خَبَرًا – أَنَّهُ صَاحِبُ الصِّفَةِ »** [٣٣] .

أَيْ : أَنَّ الَّذِي سَوَّغَ لَهُمُ ارْتِكَابَ هَذَا الضَّعْفِ أَمْرَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ « كَانَ » فِعْلٌ بِمَنْزِلَةِ الفِعْلِ التَّامِّ « ضَرَبَ » ، والفِعْل يُتَصَرَّفُ فِيهِ مَا لَا يَتَصَرَّفُ فِي غَيْرِهِ ، فَكَمَا تَجْعَلُ الفَاعِلَ نَكِرَةً والمَفْعُولَ مَعْرِفَةً ، فَتَقُولُ : ضَرَبَ رَجُلٌ زَيْدًا ؛ تَفْعَلُ هَذَا مَعَ « كَانَ » ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الفِعْلِيَّةِ ، ولَكِنْ لَمَّا ثَبَتَ الفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ نَوْعِ المَعْمُولَيْنِ ؛ إِذْ أَصْلُهُمَا فِي بَابِ « كَانَ » المُبْتَدَأُ والخَبَرَ ، لَمْ يَسُغْ أَنْ يَتَغَيَّرَ حَالُهُمَا بَعْدَ دُخُولِهَا ، ولِهَذَا كَانَ هَذَا الاعْتِبَارُ غَيْرَ مَقْبُولٍ فِي السَّعَةِ ، وابنُ مَالِكٍ سَوَّغَهُ فِي غَيْرِ الشِّعْرِ ، ولَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى سِيبَوَيْهِ [٣٤] ؛ ولِهَذَا لَمْ يَكُنْ خِلَافُهُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَحْثِنَا .

الثَّانِي : أَنَّ الاسْمَيْنِ فِي بَابِ « كَانَ » لِشَيْءٍ وَاحِدٍ ، فالعِلْمُ بِأَحَدِهِمَا مُعَرِّفٌ بِالآخَرِ ، ولِهَذَا قَالَ المُبَرِّدُ : « واعْلَمْ أَنَّ الشُّعَرَاءَ يَضْطَرُّونَ ، فَيَجْعَلُونَ الاسْمَ نَكِرَةً ، والخَبَرَ مَعْرِفَةً ، وإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُمْ أَنَّ الاسْمَ والخَبَرَ يَرْجِعَانِ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ » [٣٥] .

قَالَ : « **وذَلِكَ قَوْلُ خِدَاشِ بنِ زُهَيْرٍ** :

فَإِنَّكَ لَا تُبَالِـــي بَعْدَ حَوْلٍ

أَظَبْيٌ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حِمَارُ » [٣٦] .

وقَدْ فَهِمَ السِّيرَافِيُّ ، والصَّفَّارُ : أَنَّ سِيبَوَيْهِ جَعَلَ اسْمَ « كَانَ » ضَمِيرَ الظَّبْيِ ، وأَثَارَا إِشْكَالًا ، مَفَادُهُ : أَنَّ الضَّمِيرَ مَعْرِفَةٌ ، فَلَا يَكُونُ فِي البَيْتِ شَاهِدٌ ، ثُمَّ اعْتَذَرَا عَنْهُ : بِأَنَّ الضَّمِيرَ العَائِدَ عَلَى النَّكِرَةِ نَكِرَةٌ ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ وكَلَّمْتُهُ ؛ لَمْ يَعْرِفْ مُخَاطَبُكَ الرَّجُلَ ، ولَمْ تَزِدْهُ الهَاءُ شَيْئًا ، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَعْرِفَةً مِنْ جِهَةِ عِلْمِ المُخَاطَبِ بِمَنْ تَعُودُ عَلَيْهِ [٣٧] .

وقَدْ بَنَى الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُ الخَالِقِ عُضَيْمَةُ – رَحِمَهُ اللهُ – عَلَى هَذَا حُكْمًا، فَقَالَ : « مِنْ هَذَا يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ المُبَرِّدَ مُوَافِقٌ لِسِيبَوَيْهِ فِي أَنَّ الضَّمِيرَ العَائِدَ عَلَى نَكِرَةٍ نَكِرَةٌ ، وأَنَّهُمَا جَعَلَا البَيْتَيْنِ « أَسَكْرَانُ كَانَ ابنَ المَرَاغَةِ » ، و « أَظَبْيٌ كَانَ أُمَّكَ » مِنْ ضَرُورَاتِ الشِّعْرِ » [٣٨] وفِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الثَّلَاثَةُ نَظَرٌ ؛ فَإِنَّ سِيبَوَيْهِ لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّ ضَمِيرَ النَّكِرَةِ نَكِرَةٌ ، ولَيْسَ تَمْثِيلُهُ بِالبَيْتِ بِقَاطِعٍ فِي هَذَا ، بَلْ مَذْهَبُهُ يُخَالِفُهُ ؛ إِذْ لَا

يَكُونُ « ظَبْيٌ » عِنْدَهُ مُبْتَدَأً ؛ ولَا اسْمًا لِـــ «كَانَ » .
أَمَّا أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُبْتَدَأً ؛ فَلِأَنَّ « ظَبْيٌ » نَكِرَةٌ ، ولَا يُبْتَدَأُ بِالنَّكِرَةِ بِلَا مُسَوِّغٍ ، و « الهَمْزَةُ » هُنَا لَيْسَتْ لِلِاسْتِفْهَامِ ، وإِنَّمَا لِلتَّسْوِيَةِ ، فَلَا تَكُونُ مُسَوِّغًا كَمَا فِي قَوْلِكَ : أَرَجُلٌ فِي الدَّارِ ؟ لِأَنَّهَا لَا تُفِيدُ عُمُومًا ؛ فَقَوْلُكَ : أَرَجُلٌ عِنْدَكَ أَمِ امْرَأَةٌ ؟ مِثْلُ قَوْلِكَ : أَجَاءَكَ رَجُلٌ أَمِ امْرَأَةٌ ؟ فَالمَجِيءُ هُنَا لَيْسَ مُثْبَتًا لِكُلِّ رَجُلٍ ، ولَا مَنْفِيًّا عَنْ كُلِّ رَجُلٍ ، وأَمَّا قَوْلُكَ : أَرَجُلٌ فِي الدَّارِ؟ فَالسُّؤَالُ فِيهِ شَامِلٌ لِكُلِّ رَجُلٍ .
وأَمَّا أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَرْفُوعَ « كَانَ » المَذْكُورَةِ ؛ فَلِأَنَّهُ صَرَّحَ - فِيمَا مَضَى - أَنَّ مَرْفُوعَ « كَانَ » بِمَنْزِلَةِ مَرْفُوعِ « ضَرَبَ » ، فَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَى فِعْلِهِ .
وإِذَا لَمْ يَكُنْ « ظَبْيٌ » مُبْتَدَأً ؛ ولَا اسْمًا لِـــ «كَانَ » ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا لِكَانَ مُقَدَّرَةً ، وتَكُونَ « كَانَ » المَذْكُورَةُ تَفْسِيرًا لَهَا ، ويُقَدَّرَ مِثْلُهَا بَعْدَ « أَمْ » لِتَكُونَ الهَمْزَةُ بَينَ جُمْلَتَينِ ، أَيْ : لا تُبَالِي
أَكَانَ ظَبْيٌ أُمَّكَ أَمْ كَانَ حِمارٌ أُمَّكَ ، وهَذَا هُوَ الَّذِي قَرَّرَهُ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ (٣٩) ، والرُّمَّانِيُّ (٤٠) .
الرَّضِيُّ : « ورَدَّ عَلَيْهِ المُبَرِّدُ : بِأَنَّ اسْمَ « كَانَ » هُوَ الضَّمِيرُ ، وَهُوَ مَعْرِفَةٌ ، وأَجَابَ بَعْضُهُمُ المُبَرِّدَ - عَنْ سِيبَوَيْهِ - : بِأَنَّ هَمْزَةَ الِاسْتِفْهَامِ فِي « أَظَبْيٌ » ، و « أَطِبٌّ » ، و « أَسَكْرَانُ » دَخَلَتْ عَلَى اسْمٍ مَرْفُوعٍ [بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ] ، بَعْدَهُ الفِعْلُ المُسْنَدُ إِلَى ضَمِيرِهِ ، فَارْتِفَاعُ ذَلِكَ المَرْفُوعِ بِـــ [فِعْلٍ] مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الفِعْلُ أَوْلَى، فَاسْمُ «كَانَ» إِذَنْ نَكِرَةٌ» (٤١)
قَالَ : « **ورُدَّ الجَوَابُ** : بِأَنَّ « أَمْ » المُتَّصِلَةَ يَلِيهَا أَحَدُ المُسْتَوِيَيْنِ ، والآخَرُ [يَلِي] الهَمْزَةَ ، ولَوْ قَدَّرْتَ بَعْدَ الهَمْزَةِ فِعْلًا؛ لَمْ يَلِهِمَا المُسْتَوِيَانِ .
وأُجِيبَ - عَنْ رَدِّ الجَوَابِ - : بِأَنَّ الفِعْلَ لَمَّا كَانَ مَحْذُوفًا وُجُوبًا لِأَجْلِ المُفَسِّرِ ؛ فَكَأَنَّهُ مَعْدُومٌ .. ونَحْنُ قَدْ ذَكَرْنَا - فِي المَنْصُوبِ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ - أَنَّ المَرْفُوعَ إِنَّمَا يُفَسَّرُ رَافِعُهُ بِظَاهِرٍ إِذَا كَانَ المَرْفُوعُ بَعْدَ كَلِمَةٍ لَازِمَةٍ لِلْفِعْلِ ، نَحْوُ : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ ، وفِي قَوْلِهِ خَاصَّةً :

أَظَبْيٌ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حِمَارُ *

الأَوْلَى أَنْ يَرْتَفِعَ « ظَبْيٌ » بِـــ « كَانَ » الْمُقَدَّرَةِ ؛ لِمَا يَجِيءُ – فِي بَابِ العَطْفِ – أَنَّهُ بَعْدَ « سَوَاءٍ » ، و « لَا أُبَالِي » لَا تَدْخُلُ هَمْزَةُ التَّسْوِيَةِ إِلَّا عَلَى الفِعْلِ » (٤٢) .

قَالَ ابنُ هِشَامٍ : « وَالصَّوَابُ : أَنَّ « ظَبْيٌ » اسْمٌ لِـــ « كَانَ » مَحْذُوفَةً مُفَسَّرَةً بِـــ « كَانَ » الْمَذْكُورَةِ ، أَو مُبْتَدأٌ ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى ؛ لِأَنَّ هَمْزَةَ الاسْتِفْهَامِ بِالجُمَلِ الفِعْلِيَّةِ أَوْلَى مِنْهَا بِالاسْمِيَّةِ ، وَعَلَيْهِمَا ، فَاسْمُ « كَانَ » ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَقَولُ سِيبَوَيْهِ : « إِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ النَّكِرَةِ بِالمَعْرِفَةِ»وَاضِحٌ عَلَى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّ ظَبْيًا الْمَذْكُورَ اسْمُ «كَانَ»،وَخَبَرُهُ «أُمَّكَ»..» (٤٣)

«مَا» الْمُشَبَّهَةُ بِـــ «لَيْسَ»

*** المَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ :**

أَنَّ سِيبَوَيْهِ قَالَ : « **فَلَمْ تَقْوَ « مَا » فِي بَابِ قَلْبِ المَعْنَى ، كَمَا لم تَقْوَ فِي تَقْدِيمِ الخَبَرِ ، وزَعَمُوا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ – وهُوَ الفَرَزْدَقُ – :**

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ

إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ

وَهَذَا لا يَكَادُ يُعْرَفُ ، كَمَا أَنَّ « لاتَ حِينُ مَنَاصٍ » كَذَلِكَ ، وَرُبَّ شَيْءٍ هَكَذَا ، وَهُوَ كَقَولِ بَعْضِهِم : « هَذِهِ مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ » فِي القِلَّةِ » (٤٤) .

وقَدْ فَهِمَ ابنُ مَالِكٍ مِنْ عِبَارَةِ سِيبَوَيْهِ هَذِهِ تَجْوِيزَهُ تَقْدِيمَ الخَبَرِ عَلَى قِلَّةٍ، فَقَالَ: « ومِنَ العَرَبِ مَنْ يَنْصِبُ خَبَرَ «مَا» مُتَوَسِّطًا بَيْنَهَا وبَيْنَ اسْمِهَا، أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ سِيبَوَيْهِ ، وسَوَّى بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْلِ مَنْ قَالَ : مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ ، بِلَا تَاءٍ ، و « لَاتَ حِينَ مَنَاصَ » ، بِالنَّصْبِ ، وأَنشَدَّ سِيبَوَيْهِ عَلَى نَصْبِ الخَبَرِ قَوْلَ الفَرَزْدَقِ : فَأَصْبَحُوا .. » ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ رَدَّ عَلَى سِيبَوَيْهِ الاسْتِدْلَالَ بِبَيْتِ الفَرَزْدَقِ : بِأَنَّ لُغَةَ الفَرَزْدَقِ مَنْعُ نَصْبِ الخَبَرِ مُطْلَقًا ، وأَنَّ نَصْبَ «مِثْلَهُمْ» عَلَى الحَالِ ، وأَنَّ «بَشَرٌ» مُبْتَدَأٌ حُذِفَ خَبَرُهُ ، أَوْ أَنَّ الفَرَزْدَقَ تَكَلَّمَ بِلُغَةِ الحِجَازِيِّينَ مُعْتَقِدًا جَوَازَهُ عِنْدَهُمْ ، فَلَمْ يُصِبْ ، ثُمَّ أَنْكَرَ ابنُ مَالِكٍ هَذَا الرَّدَّ ، لِأَنَّ الحَالَ فَضْلَةٌ يَتِمُّ الكَلَامُ بِدُونِهَا ، وهُنَا لَا يَتِمُّ الكَلَامُ بِدُونِ «مِثْلَهُمْ» ، وأَنَّ لِلْفَرَزْدَقِ أَضْدَادًا مِنَ الحِجَازِيِّينَ والتَّمِيمِيِّينَ ، ومِنْ مُنَاهُمْ أَنْ يَظْفَرُوا بِزَلَّةٍ مِنْهُ ، ولَوْ جَرَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَنُقِلَ ؛

لِتَوَفُّرِ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِه ، فَلَمَّا لَمْ يُنْقَلْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى إِجْمَاعِ أَضْدَادِه الحِجَازِيِّينَ والتَّمِيمِيِّينَ ، عَلَى تَصْوِيبِ قَوْلِه (٤٥) .

وفِيمَا قَالَهُ ابنُ مَالِكٍ نَظَرٌ ؛ فَإِنَّ سِيبَوَيْهِ رَدَّهُ بِقَوْلِه : « لَا يَكَادُ يُعْرَفُ » ، وشَبَّهَهُ بِقَوْلِهِمْ : « مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ » ، أَيْ : مِنْ جِهَةِ الشُّذُوذِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا سَاقَ البَيْتَ وقَالَ : « **وَهَذَا لا يَكَادُ يُعْرَفُ** » أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ مِنهُ إِلَّا هَذَا البَيْتُ خَاصَّةً ، قَالَ : « **كَمَا أَنَّ** « **لاتَ حِينُ مَنَاصٍ** »**كَذَلِكَ** » أَيْ : أَنَّهُ لَمْ يَرِدْنَا رَفْعُ الحِينِ فِي غَيْرِ تِلْكَ القِرَاءَةِ ، قَالَ : « **وَرُبَّ شَيْءٍ** » أَيْ : وَرَدَنَا « **هَكَذَا** » أَيْ: فَرْدًا مُخَالِفًا لكلامِ العَامَّةِ « **وهُوَ كَقَولِ بَعْضِهِم** : « **هَذه مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ** » **فِي القِلَّةِ** » ؛ وذَلِكَ أَنَّ « فَعِيلًا » إِذَا كَانَ بِمَعْنَى « مَفْعُولٍ » لا تَلْحَقُهُ التَّاءُ وإِنْ كَانَ لمؤَنَّثٍ .

قَالَ الرُّمَّانِي : « فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ ، الأَوَّلُ قَوْلُ سِيبَوَيْهِ : إِنَّهُ شَاذٌّ عَلَى التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ ... وقَالَ سِيبَوَيْهِ : نَظِيرُهُ فِي الشُّذُوذِ والقِلَّةِ : هَذِهِ مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ » (٤٦) .

الأَحْرُفُ النَّاسِخَةُ :

*** المَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ :**

قَالَ سِيبَوَيْهِ : (**بَابُ مَا تَسْتَوِي فِيهِ الحُرُوفُ الخَمْسَةُ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ العَاقِلُ اللَّبِيبُ ، فـ** « **العَاقِلُ اللَّبِيبُ** » **يَرْتَفِعُ عَلَى وَجْهَيْنِ : عَلَى الاسْمِ المُضْمَرِ ، فِي** « **مُنْطَلِقٌ** » **، كَأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ ، فَيَصِيرُ كَقَولِكَ : مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٍ ، إِذَا أَرَدْتَ جَوَابَ : بِمَنْ مَرَرْتَ ؟ فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ : من يَنْطَلِقُ ؟ فَقَالَ : زَيْد العَاقِلُ اللَّبِيبُ ، وَإِنْ شَاءَ رَفَعَهُ عَلَى :** « **مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ** » **إِذَا كَانَ جَوَابَ** « **مَنْ هُوَ ؟** » **فَنَقُولُ : زَيْدٌ ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ : من هُوَ ؟ فَقَالَ : العَاقِلُ اللَّبِيبُ ، وإِنْ شَاءَ نَصَبَهُ عَلَى الاسْمِ الأَوَّلِ المَنْصُوبِ، وقَدْ قَرَأَ النَّاسُ هَذِهِ الآيَةَ عَلَى وَجْهَيْنِ : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَّامُ الغُيُوبِ ﴾ ، و ﴿ عَلَّامَ الغُيُوبِ ﴾** (٤٧) .

فَأَكْثَرُ النَّحْوِيِّينَ فَهِمُوا مِنْ عِبَارَةِ سِيبَوَيْهِ هَذِهِ أَنَّ البَدَلَ عَلَى بَابِهِ ، فَجَعَلُوا «العَاقِلِ» بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي «مُنْطَلِق» ، وقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ المُبَرِّدُ، والزَّجَّاجُ ، وابنُ السَّرَّاجِ ، وابنُ يَعِيشَ ، وابنُ مَالِكٍ وغَيْرُهُمْ .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : « فَالرَّفْعُ مِنْ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : أَنْ تَجْعَلَهُ بَدَلًا مِنَ الْمُضْمَرِ فِي الخَبَرِ ، والوَجْهُ الآخَرُ : أَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى قَطْعٍ وابْتِدَاءٍ » (٤٨) .

وقَالَ الزَّجَّاجُ – فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَّامُ الغُيُوبِ ﴾ – : « ومَنْ رَفَعَ « عَلَّامُ الغُيُوبِ » فَعَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ صِفَةً عَلَى مَوْضِعِ « إِنَّ رَبِّي » ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَهُ : قُلْ رَبِّي عَلَّامُ الغُيُوبِ يَقْذِفُ بِالحَقِّ ، و «إِنَّ» مُؤَكِّدَةٌ ، ويَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى البَدَلِ مِمَّا فِي «تَقذِفُ» .. » (٤٩) .

وقَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ السَّرَّاجِ : « قَالَ سِيبَوَيْهِ : والرَّفْعُ مِنْ وَجْهَيْنِ عَلَى الاسْمِ الْمُضْمَرِ فِي «مُنْطَلِق» ، كَأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ ، كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ ،

يَعْنِي أَنَّهُ يَجْعَلُهُ بَدَلًا مِنَ الْمُضْمَرِ فِي «مُنْطَلِق» .. » (٥٠) .

وقَالَ ابنُ يَعِيشَ : « فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَلَّامُ الغُيُوبِ ﴾ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى البَدَلِ مِنَ الْمُضْمَرِ فِي «يَقْذِفُ»، أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ، أَيْ: هُوَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ، أَوْ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ » (٥١) .

وقَالَ ابنُ مالكٍ : « ولَوْ كَانَ مِنْ عَطْفِ الْمُفْرَدَاتِ ؛ لَجَازَ رَفْعُ غَيْرِهِ مِنَ التَّوَابِعِ ، ولَمْ يَحْتَجْ سِيبَوَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَّامُ الغُيُوبِ ﴾ إِلَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ أَوْ بَدَلًا مِنْ فَاعِلِ «يَقْذِفُ» .. » (٥٢) .

وقَالَ : « والَّذِي لَا يَسْتَغْنِي عَنِ التَّنْبِيهِ رَفْعُ الْمَعْطُوفِ ، وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : مُشْتَرَكٌ فِيهِ،وَهُوَ العَطْفُ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ بِالخَبَرِ،والثَّانِي:العَطْفُ عَلَى مَعْنَى الابْتِدَاءِ» (٥٣) .

والوَجْهُ الأَوَّلُ عِنْدَ الزَّجَّاجِ – وَهُوَ حَمْلُ الصِّفَةِ عَلَى مَحَلِّ اسْمِ «إِنَّ» – عَزَاهُ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ إِلَى يُونُسَ(٥٤) ، واخْتَارَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ (٥٥) ،

والرَّضِيُّ (٥٦) .

وعِبَارَةُ سِيبَوَيْهِ لَيْسَتْ صَرِيحَةً فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، بَلْ دَلَالَتُهَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَقْوَى ؛ إِذِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ جَعَلَ «العَاقِلَ» – فِي الْمِثَالِ – مَرَّةً صِفَةً لِفَاعِلٍ فِعْلٍ مُقَدَّرٍ ، ومَرَّةً خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مُقَدَّرٍ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ : (**بَابُ مَا تَسْتَوِي فِيهِ الْحُرُوفُ الْخَمْسَةُ**) أَرَادَ أَنَّهُ يَجُوزُ مَعَهَا كُلِّهَا الرَّفْعُ

لِلاسْمِ التَّابِعِ عَلَى القَطْعِ ، ثُمَّ قَالَ : (**وَذَلكَ قَوْلُكَ : إنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ العَاقِلُ اللَّبِيبُ ، فـ «العَاقِلُ اللَّبِيبُ» يَرْتَفِعُ عَلَى وَجْهَيْنِ : عَلَى الاسْمِ المُضْمَرِ فِي «مُنْطَلِقٌ»**) فَهَذَا هُوَ الوَجْهُ الأَوَّلُ ، أَيْ : أَنَّهُ يَرْتَفِعُ عَلَى أَنَّهُ وَصْفٌ لفَاعِلٍ لِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ مَفْهُومٍ مِنْ «مُنْطَلِق» ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ سِيبَوَيْهِ سَيَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : « فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ : من يَنْطَلِقُ ؟ فَقَالَ : زَيْدٌ العَاقِلُ اللَّبِيبُ » أَيْ : يَنْطَلِقُ زَيْدٌ العَاقِلُ ، ثُمَّ قَالَ : (**كَأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ**) أَيْ : يَظْهَرُ لِلسَّامِعِ أَنَّ العَاقِلَ صَارَ كَأَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ المُسْتَتِرِ فِي «مُنْطَلِق» ، ولَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ بَدَلًا مِنْهُ ؛ لأَنَّهُ لَا يُبْدَلُ مِنَ الضَّمِيرِ المُسْتَتِرِ إلاَّ بَعْدَ تَوْكِيدِهِ ، ومِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّهُ أَرَادَ «العَاقِل» صِفَةً لِفَاعِلٍ فِعْلٍ مُقَدَّرٍ قَوْلُهُ : (**فَيَصِيرُ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٍ ، إِذَا أَرَدْتَ جَوَابَ : بِمَنْ مَرَرْتَ ؟**) أَيْ : أَنَّ السَّامِعَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ « زَيْدٍ » بَدَلٌ مِنَ الهَاءِ فِي «بِهِ» ؟ وَهُوَ فِي الوَاقِعِ مَجْرُورٌ بِحَرْفٍ مُقَدَّرٍ دَلَّ عَلَيهِ الكَلامُ المُتَقَدِّمُ ؛ لأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَحَدًا قَالَ : بِمَن مَرَرْتَ ؟ فَقَالَ : زَيْدٍ ، أَيْ : مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، وكَذَلِكَ «العَاقِلُ اللَّبِيبُ» هُنَا ، ولِهَذَا عَبَّرَ سِيبَوَيْهِ بِقَوْلِهِ: (**فَكَأَنَّهُ**) أَيْ : لَـــمَّا قَالَ : إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ (**قِيلَ لَهُ : من يَنْطَلِقُ؟ فَقَالَ: زَيْدٌ العَاقِلُ اللَّبِيبُ**) أَيْ : يَنْطَلِقُ زَيْدٌ العَاقِلُ ، فـــ « العَاقِلُ » وَصْفٌ لِـــ « زَيْدٌ » ، و « زَيْدٌ » فَاعِلٌ ، أَوِ العَاقِلُ فَاعِلٌ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

*** لِيُبْكَ يَزِيْدُ ضَارِعٌ لِـــخُصُومَةٍ ***

لأَنَّهُ لَـــمَّا قَالَ : « لِيُبْكَ يَزِيْدُ » ظَنَّ أَنَّ أَحَدًا سَأَلَهُ : مَنْ يَبْكِيهِ ؟ فَقَالَ : ضَارِعٌ ، أَيْ : يَبْكِيهِ ضَارِعٌ .

ثُمَّ قَالَ : (**وَإِنْ شَاءَ**) وَهَذَا هُوَ الوَجْهُ الثَّانِـــي (**رَفَعَهُ عَلَى : « مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ » إِذَا كَانَ جَوَابَ « مَنْ هُوَ ؟ » فَتَقُولُ : زَيْدٌ**) فَيَكُونُ « زَيْدٌ » خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ، تَقدِيرُهُ « هُوَ » ؛ لأَنَّهُ لَـــمَّا قَالَ : « إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ » (**كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ : من هُوَ**) زَيْدٌ (؟ **فَقَالَ : العَاقِلُ اللَّبِيبُ**) أَيْ : زَيْدٌ العَاقِلُ اللَّبِيبُ .

*** المَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ :**

قَالَ سِيبَوَيْهِ : (وقَالَ الخَلِيلُ : إِنَّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ كَانَ زَيْدًا عَلَى إِلْغَاءِ «كَانَ» ، وشَبَّهَهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ – وهُوَ الفَرَزْدَقُ – :

فكَيْفَ إِذَا رَأَيْتُ دِيَارَ قَوْمٍ
وجيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرامِ) [٥٧] .

وهَذِهِ العِبَارَةُ مِنْ سِيبَوَيْهِ فِيمَا يَنْقُلُهُ عَنِ الخَلِيلِ لَمْ يَسْتَوِ النَّاسُ فِي فَهْمِهَا ، فَقَدْ صَارُوا فِي تَقْرِيرِ مُرَادِهِ ثَلَاثَةَ مَذَاهِبَ :

المَذْهَبُ الأَوَّلُ : أَنَّهُ قَرَّرَ مَذْهَبَ الخَلِيلِ مُعْتَمِدًا لَهُ ، وَهُوَ أَنَّ «كَانَ» تَكُونُ زَائِدَةً ولَوْ كَانَ مَعَهَا مَرْفُوعٌ ، وَهُوَ مَا فَهِمَهُ المُبَرِّدُ ، والسِّيرَافِيُّ ، وابنُ خَرُوفٍ ، وابنُ مَالِكٍ ، والرَّضِيُّ ، عَلَى فَرْقٍ بَيْنَهُمْ فِي فُرُوعٍ .

أ- فَالمُبَرِّدُ يُقَرِّرُ أَنَّهَا تُزَادُ عِنْدَ الخَلِيلِ وسِيبَوَيْهِ وغَيْرِهِمَا ولَوْ كَانَ مَعَهَا مَرْفُوعٌ ، وأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجَوِّزْ زِيَادَتَهَا فِي بَيْتِ الفَرَزْدَقِ ؛ لِأَنَّ فِيهَا الوَاوَ ، قَالَ : « وَتَأْوِيلُ هَذَا سُقُوطُ «كَانَ» عَلَى «وجيرَانٍ لَنَا كِرَامٍ» فِي قَولِ النَّحْوِيِّينَ أَجْمَعِينَ ، وَهُوَ عِنْدِي عَلَى خِلَافِ مَا قَالُوا مِنْ إِلْغَاءِ «كَانَ» وَذَلِكَ أَنَّ خَبَرَ «كَانَ» : «لَنَا»، فَتَقْدِيرُهُ : وجيرَانٍ كِرَامٍ كَانُوا لَنَا » [٥٨] .

ب - وأَمَّا السِّيرَافِيُّ فَفَهِمَ مِنْ عِبَارَةِ سِيبَوَيْهِ أَنَّهَا تَكُونُ زَائِدَةً سَوَاءٌ كَانَتْ مُجَرَّدَةً مِنَ الاسْمِ والخَبَرِ - وَهِيَ حِينَئِذٍ لَا تُسَمَّى نَاقِصَةً ولَا تَامَّةً ، وإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ فَقَطْ - أَوْ كَانَ مَعَهَا ضَمِيرٌ إِمَّا مَفْهُومٌ مِنَ المَصْدَرِ ، وإِمَّا عَائِدٌ عَلَى مَذْكُورٍ ، وشَبَّهَهَا فِي هَذِهِ الحَالِ بِالتَّامَّةِ الَّتِي عَلَى مَعْنَى «خُلِقَ» [٥٩] .

قَالَ : « أَيْ : كَانَ ذَلِكَ ، وإِنَّمَا قِيلَ : زَائِدَةٌ ؛ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا اسْمٌ ولَا خَبَرٌ فِي الكَلَامِ المَذْكُورِ عَلَى مِثْلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ : « سَرَاةُ .. » .. وأَدْخَلَ الخَلِيلُ فِي ذَلِكَ قَوْلَ الفَرَزْدَقِ : « وكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ .. » ورد ذَلِكَ أَبُو العَبَّاسِ .. والأَظْهَرُ كَلَامُ الخَلِيلِ ، و «لَنَا» مِنْ صِلَةِ «جِيرَانٍ» .. وأَدْخَلَ «كَانُوا» ، وجَعَلَ فِيهَا ضَمِيرَ الجِيرَانِ ، كَمَا يُجْعَلُ فِي «كَانَ» المُوَحَّدَةِ ضَمِيرُ مَا جَرَى ذِكْرُهُ فِي مَعْنَى كَانَ الأَمْرُ وخُلِقَ ، ولَا تَدْخُلُ فِي الكَلَامِ فِي اسْمٍ لَهَا ولَا خَبَرٍ » [٦٠] .

وقَالَ : « وقَوْلُنَا : تَكُونُ زَائِدَةً لَيْسَ المَعْنَى بِذَلِكَ أَنَّ دُخُولَهَا كَخُرُوجِهَا فِي كُلِّ مَعْنًى ، وإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا اسْمٌ ولَا خَبَرٌ ، ولَا هِيَ لِوُقُوعِ شَيْءٍ مَذْكُورٍ ، ولَكِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى زَمَانٍ ، وفَاعِلُهَا مَصْدَرُهَا » (٦١) .

ج – وأَمَّا ابنُ خَرُوف فَقَالَ : « مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ – رَحِمَهُ اللهُ – زِيَادَتُهَا فِي البَيْتِ ، ولَا يُمْنَعُ عِنْدَهُ أَنْ تَكُونَ نَاقِصَةً ، وإِنَّمَا قَدَّمَ الزِّيَادَةَ فِيهَا لِأَنَّ الجَارَّ المَجْرُورَ الَّذِي قَبْلَهَا قَدْ اكْتَنَفَهُ شَيْئَانِ .. « الجِيرَانُ » يَطْلُبُهُ بِأَنْ يَكُونَ صِفَةً لَهُ ، و « كَانَ » تَطْلُبُهُ بِخَبَرِهَا ، والحُكْمُ لِلْمُتَقَدِّمِ » (٦٢) .

د – وأَمَّا ابنُ مَالِكٍ فَقَالَ : « ولَا يَمْنَعُ مِنْ زِيَادَتِهَا إِسْنَادُهَا إِلَى الضَّمِيرِ، كَمَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِلْغَاءِ «ظَنَّ» إِسْنَادُهَا فِي نَحْوِ: «زَيْدٌ ظَنَنْتُ قَائِمٌ»، هَذَا مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ » (٦٣) .

هـ – وأَمَّا الرَّضِيُّ فَقَالَ : « وقَالَ سِيبَوَيْهِ : هِيَ زَائِدَةٌ مَعَ الفَاعِلِ ؛ لِأَنَّهُ كَالجُزْءِ مِنْهَا ، والأَوَّلُ أَوْلَى ؛ لِإِفَادَتِهَا مَعْنًى ، وعَمَلِهَا لَفْظًا » (٦٤) .

وقَدْ تَابَعَ ابنُ يَعِيشَ المُبَرِّدَ عَلَى هَذَا مَذْهَبِهِ فِي مَنْعِ زِيَادَتِهَا مَعَ مَرْفُوعِهَا ، ولَمْ يَتَعَرَّضْ لِعِبَارَةِ سِيبَوَيْهِ ، لَكِنَّهُ أَضَافَ أَنَّ الزَّائِدَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى زَمَانٍ ، وعَزَا هَذَا القَوْلَ إِلَى ابنِ السَّرَّاجِ ، ولَيْسَ كَمَا قَالَ ؛ فَإِنَّ ابنَ السَّرَّاجِ لَا يَمْنَعُ أَنْ تَدُلَّ الزَّائِدَةُ عَلَى زَمَانٍ (٦٥) .

المَذْهَبُ الثَّانِي : أَنَّ مُرَادَ سِيبَوَيْهِ جَوَازُ زِيَادَتِهَا ولَوْ كَانَ فِيهَا ضَمِيرٌ ، لَكِنَّ الضَّمِيرَ فِيهَا لَيْسَ مَرْفُوعًا بِهَا ، بَلْ هُوَ تَوْكِيدٌ لِلضَّمِيرِ فِي المُسْتَتِرِ فِي «لَنَا» ، أَيْ : وجِيرَانٍ لَنَا هُمْ هُمْ ، ثُمَّ وَصَلَ «هُمْ» الثَّانِي بِـ «كَانَ» ، فَأَخَذَ صُورَةَ ضَمِيرِ الرَّفْعِ المُتَّصِلِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ ، قَالَ : « و «كَانُوا» فِي بَيْتِ الفَرَزْدَقِ .. لَغْوٌ .. فَإِنْ قُلْتَ : فَكَيْفَ يُلْغَى «كَانَ» وقَدْ عَمِلَتْ فِي الضَّمِيرِ ؟ قُلْنَا : تَكُونُ «كَانَ» لَغْوًا ، والضَّمِيرُ الَّذِي فِيهَا تَأْكِيدٌ لِمَا فِي «لَنَا» ، لَا أَنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِالفَاعِلِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا خَبَرَ لَهُ ؟ » (٦٦) .

المَذْهَبُ الثَّالِثُ : أَنَّ سِيبَوَيْهِ لَا يُرِيدُ حَقِيقَةَ الزِّيَادَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الخَلِيلَ قَصَدَ الزِّيَادَةَ المَعْنَوِيَّةَ ، بِمَعْنَى أَنَّ المُضِيَّ مَفْهُومٌ قَبْلَ دُخُولِ «كَانَ» ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَيَّانَ ، قَالَ : « والَّذِي نَخْتَارُهُ فِي البَيْتِ أَنَّ «كَانُوا» و «لَنَا» : «كَانَ واسْمُهَا وخَبَرُهَا» ، ومَعْنَى

اللَّامِ الاخْتِصَاصُ ، والجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ ، وإِطْلَاقُ الخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ عَلَيْهَا أَنَّهَا زَائِدَةٌ لَا يَعْنِيَانِ بِالزِّيَادَةِ مَا فَهِمَ النَّحْوِيُّونَ عَنْهُمَا ، إِنَّمَا أَرَادَا بِالزِّيَادَةِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ تَدْخُلْ هَذِهِ الجُمْلَةُ بَيْنَ «جِيرَان» و «كِرَامٍ» ؛ لَفُهِمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ كَانُوا جِيرَانَهُ فِيمَا مَضَى ، وأَنَّهُ قَدْ فَارَقَهُمْ ، فَالجِيرَةُ كَانَتْ فِي الزَّمَانِ المَاضِي ، فَجِيءَ بِقَوْلِهِ : «كَانُوا لَنَا» عَلَى هَذَا المَعْنَى ، لَا يُسْتَفَادُ بِهَا إِلَّا تَأْكِيدُ مَا فُهِمَ مِنَ المُضِيِّ قَبْلَ دُخُولِهَا ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا الخَلِيلُ الزِّيَادَةَ بِهَذَا المَعْنَى ، لَا بِمَعْنَى أَنَّهَا زِيدَتْ كَزِيَادَةِ « مَا – كَانَ – أَحْسَنَ زَيْدًا ! » ، ولَا كَزِيَادَةِ : « عَلَى – كَانَ – المُسَوَّمَةِ العِرَابِ » .. » [٦٧] .

وعِنْدَ تَأَمُّلِ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ نَجِدُ أَنَّهُ لَمْ يَعْنِ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ المَذَاهِبِ ؛ فَإِنَّهُ **أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ** أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَذْفُ اسْمِ «إِنَّ» ، ولَا تَنْكِيرُهُ بِلَا مُسَوِّغٍ ، فَذَكَرَ أَرْبَعَ صُوَرٍ ، هَذِهِ إِحْدَاهَا ، قَالَ : (وقَالَ **الخَلِيلُ**) أَيْ : فِيمَا يَدُلُّ عَلَى قُبْحِ تَعْرِيَةِ «إِنَّ» مِنَ الاسْمِ (: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ كَانَ زَيْدًا**» **عَلَى إِلْغَاءِ «كَانَ»**) أَيْ : إِنَّ هَذِهِ الجُمْلَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِأَنْ تُجْعَلَ «كَانَ» كَلِمَةً مُعْتَرِضَةً بَيْنَ شَيْئَيْنِ ؛ لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَحْكُمْ بِإِلْغَائِهَا ؛ لَلَزِمَ أَحَدُ مَحْذُورَيْنِ :

المَحْذُورُ الأَوَّلُ : أَن يَكُونَ «زَيْدًا» اسْمَ «إِنَّ» ، وجُمْلَةُ «كَانَ مِنْ أَفْضَلِهِمْ» خَبَرَهَا ، وهَذَا لَا يَصِحُّ ؛ لأَنَّهُ لَا يُفْصَلُ بَيْنَ «إِنَّ» واسْمِهَا بِغَيْرِ خَبَرِهَا الظَّرْفِ [٦٨] .

المَحْذُورُ الآخَرُ : أَنْ يَصِيرَ «زَيْدًا» خَبَرَ «كَانَ» ، ويَصِيرَ مَرْفُوعُ «كَانَ» ضَمِيرًا عَائِدًا عَلَى فَاعِلِ «أَفْضَل» ، فَتَبْقَى «إِنَّ» بِدُونِ اسْمٍ ، وهَذَا قَبِيحٌ ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ ، ولَا يَصِحُّ تَقْدِيرُ ضَمِيرِ الشَّأْنِ ؛ فَإِنَّهُ – أَيْضًا – قَبِيحٌ ، وإِنَّمَا يُنْسَى قُبْحُهُ إِذَا وَقَعَ فِي شِعْرٍ [٦٩] ، كَمَا فِي قَوْلِ الأَخْطَلِ :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلِ الكَنِيسَةَ يَوْمًا * يَلْقَ فِيهَا جَآذِرًا وظِبَاءَ

بَلْ لَوْ صَحَّ تَقْدِيرُ ضَمِيرِ الشَّأْنِ لَبَقِيَ قُبْحٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فَضْلُ زَيْدٍ مِمَّا مَضَى وانْقَطَعَ [٧٠] قَالَ : (وَ) لِهَذَا (**شَبَّهَهُ**) أَيْ : الخَلِيلُ مِنْ جِهَةِ القُبْحِ (**بِقَوْلِ الشَّاعِرِ – وهُوَ الفَرَزْدَقُ** – :

فكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ ... وجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ)

ومُرَادُهُ : أَنَّكَ إِنْ جَعَلْتَ «لَنَا» خَبَرًا لِـــ «كَانَ» ؛ فَقُلْتَ : كَانُوا لَنَا ؛ لَتَمَحَّضَت اللَّامُ لِلْمِلْكِ ، وَهِيَ فِي الحَقِيقَةِ لِلاخْتِصَاصِ ، وإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنَّ جيرَةَ أُولئِكَ لَنَا ، ولَوْ جَعَلْتَ الكِرَامَ خَبَرًا لِـــ «كَانَ» ؛ لَجَعَلْتَ كَرَمَهُمْ شَيْئًا مَضَى وانْقَطَعَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْدُوحَةٌ مِنْ جَعْلِ جُمْلَةِ «كَانُوا» مُعْتَرِضَةً ، خَارِجَةً مِنْ أَصْلِ كَلَامِهِ ، والاعْتِرَاضُ بِجُمْلَةٍ هُنَا كَالاعْتِرَاضِ بِكَلِمَةٍ فِي قَوْلِكَ : «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ كَانَ زَيْدًا» .

*** المَسْأَلَةُ العَاشِرَةُ :**

قَالَ سِيبَوَيْهِ:(**ومِثْل ذَلِكَ قَولُهم: « زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا أَتَاكَ أَنَّهُ سَيَفْعَل »** ، **و « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ أَنَّهُ سَيَمْضِي »** ، **ولا يَسْتَقِيمُ أَنْ تَبْتَدِئَ «إِنَّ» هَا هُنَا ،كَمَا تَبْتَدِئُ الأَسْمَاءَ أو الفِعْل إِذَا قُلْتَ : قَدْ عَلِمْتُ زَيْدًا أَبُوهُ خَيرٌ مِنْكَ ، وقَدْ رَأَيتُ زَيْدًا يَقُولُ أَبُوهُ ذَاكَ ، لأَنَّ « إِنَّ » لا تُبْتَدَأُ فِي كُلِّ مَوضِعٍ ، وهَذَا من تِلْكَ المَوَاضِعِ**) [٧١] .

ورَأَى السِّيرَافِيُّ أَنَّ سِيبَوَيْهِ مَنَعَ كَسْرَ «إِنَّ» هُنَا لأَنَّ الظَّرْفَ «إِذَا» مُتَعَلِّقٌ بِخَبَرِهَا ، والظَّرْفُ لَا يَتَقَدَّمُ «إِنَّ» كَمَا يَتَقَدَّمُ «أَنَّ» ؛ لِأَنَّ المَفْتُوحَةَ فِي حُكْمِ الاسْمِ ، والظَّرْفُ يَتَقَدَّمُ الاسْمَ ، وأَمَّا «إِنَّ» فَإِنَّهَا فِي حُكْمِ الجُمْلَةِ ، ومَا بَعْدَهَا لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهَا [٧٢] .

ولَا يَظْهَرُ لِي صَوَابُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ – رَحِمَهُ اللهُ – وذَلِكَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ قَالَ : (**ومِثْل ذَلِكَ قَولُهم : « زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا أَتَاكَ أَنَّهُ سَيَفْعَل »** ، **« وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ أَنَّهُ سَيَمْضِي »**) يُرِيدُ أَنَّ أَصْلَهُ : زَعَمَ أَنَّهُ سَيَفْعَل إِذَا أَتَاكَ ، وعَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَمْضِي إِذَا فَعَلَ ، ولكِنَّهُ أَعْرَضَ عَن خَبَرِ «أَنَّ»، ثُمَّ أَبْدَلَ منهَا «أَنَّ» أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ : (**ولا يَسْتَقِيمُ أَنْ تَبْتَدِئَ «إِنَّ» هَا هُنَا**) أَيْ : لا يَسْتَقِيمُ أَنْ تَكْسِرَ «أَنَّ» الثَّانِيَةَ ، فلا تَقُولُ : زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا أَتَاكَ إِنَّهُ سَيَفْعَل ، قَالَ : (**كَمَا تَبْتَدِئُ الأَسْمَاءَ أو الفِعْلَ إِذَا قُلْتَ : قَدْ عَلِمْتُ زَيْدًا أَبُوهُ خَيرٌ مِنْكَ ، وقَدْ رَأَيتُ زَيْدًا يَقُولُ أَبُوهُ ذَاكَ**) أَيْ : لَيْسَتْ « أَنَّ » الأُولَى بِمَثَابَةِ «زَيْدًا» ، ولَا «إِنَّهُ سَيَفْعَل» بِمَثَابَةِ «أَبُوهُ خَيرٌ مِنْكَ» ، قَالَ : (**لأَنَّ « إِنَّ » لا تُبْتَدَأُ فِي كُلِّ مَوضِعٍ**) أَيْ : لَا تُبْتَدَأُ فِي كُلِّ مَوضِعٍ تَصِحُّ فيه الجُمْلَةُ ، وإِنَّمَا تُبْتَدَأُ إِذَا كَانَتْ فِي مَوضِعِ جُملَةٍ مُسْتَأْنَفَةٍ ، قَالَ : (**وهَذَا مِنْ تِلْكَ المَوَاضِعِ**) يُرِيدُ : مِنَ المَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ يَكُنِ الكَلَامُ فِيهَا مُسْتَأْنَفًا ، فإِنَّ «أَنَّهُ سَيَفْعَل» بَدَلٌ مِنْ «أَنَّ» الأُولَى ، ولو كَسَرْتَ عَلَى نِيَّةِ الاسْتِئْنَافِ

؛ لَكَانَ الكَلامُ الأَوَّلُ غَيْرَ تَامٍّ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ : «زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا أَتَاكَ» ، وتَسْكُتَ ؟ فَسِيبَوَيْهِ إِذَنْ مَنَعَ الكَسْرَ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ «أَنَّ» الأُولَى بِلَا خَبَرٍ

أَفْعَالُ المُقَارَبَةِ

*** المَسْأَلَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ :**

قَالَ سِيبَوَيْهِ : (**وَتَقُولُ : إِنَّهُ خَلِيقٌ لَأَنْ يَفْعَلَ ، وَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَفْعَلَ، عَلَى الحَذْفِ ، وَتَقُولُ : عَسَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ ، فَـ «أَنْ» : هَا هُنَا بِمَنْزِلَتِهَا فِي قَولِكَ : قَارَبْتَ أَنْ تَفْعَلَ ، أَيْ : قَارَبْتَ ذَاكَ ، وَبِمَنْزِلَةِ : دَنَوتَ أَنْ تَفْعَلَ، واخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ أَنْ تُمْطِرَ ، أَيْ : لِأَنْ تُمْطِرَ ، وَ «عَسَيْتَ» بِمَنْزِلَةِ «اخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ» ، ولَا يَسْتَعْمِلُونَ المَصْدَرَ هُنَا ، كَمَا لَمْ يَسْتَعْمِلُوا الاسْمَ الَّذِي الفِعْلُ فِي مَوْضِعِهِ ، كَقَوْلِكَ : اذْهَبْ بِذِي تَسْلَمُ ، وَلَا يَقُولُونَ : عَسَيْتَ الفِعْلَ ، ولَا : عَسَيْتَ لِلفِعْلِ**) [٧٣] .

قَالَ ابنُ خَرُوف : « يُرِيدُ : «أَنْ» بَعْدَ «عَسَى» فِي مَوْضِعِ نَصْب ، مِثْلُ «أَنْ» بَعْدَ «قَارَبْتَ» ، وإِنْ كَانَتْ «قَارَبْتَ» تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا ، فَيُرِيدُ شَبَهًا لَفْظِيًا ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ بَعْدُ : « وَعَسَيْتَ بِمَنْزِلَةِ اخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ » ، وقَدْ قَدَّرَ «اخْلَوْلَقَتْ» بِالحَرْف » ، وقَالَ : « ومَا اسْتُعْمِلَ مِنْ هَذِهِ الأَفْعَالِ بِـ «أَنْ» هُوَ عَلَى إِرَادَةِ اللَّامِ ، وقَدْ تَظْهَرُ إِلَّا فِي «عَسَى» ، فَإِنَّهَا لَا تَظْهَرُ مَعَهَا » [٧٤] .

وَوَاضِحٌ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَعْزُو إِلَى سِيبَوَيْهِ أَنَّ مَا بَعْدَ «عَسَى» مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الخَافِضِ ، وهَذَا قَدْ صَرَّحَ بِهِ ابنُ مَالِك بِقَوْلِهِ : « ولَيْسَ المَقْرُونُ بِـ «أَنْ» فِي هَذَا البَابِ خَبَرًا عِنْدَ سِيبَوَيْهِ ، بَلْ هُوَ مَنْصُوبٌ بِإِسْقَاطِ حَرْفِ الجَرِّ ، أَوْ بِتَضْمِينِ الفِعْلِ مَعْنَى «قَارَبَ» ، قَالَ سِيبَوَيْهِ : « تَقُولُ : عَسَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ ، فَـ «أَنْ» : هُنَا بِمَنْزِلَتِهَا فِي قَولِكَ : قَارَبْتَ أَنْ تَفْعَلَ » .. » ، ويَرَى ابنُ مَالِك أَنَّ «عَسَى» نَاقِصَةٌ أَبَدًا إِلَّا إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَى «أَنْ» والفِعْلِ فَإِنَّهُمَا حِينَئِذٍ يَسُدَّانِ مَسَدَّ الجُزْأَيْنِ [٧٥] .

وعِبَارَةُ سِيبَوَيْهِ لَيْسَتْ نَصًّا فِيمَا ذَكَرَاهُ ، بَلْ ظَاهِرُهَا يُوحِي بِخِلَافِهِ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : (**وَتَقُولُ : إِنَّهُ خَلِيقٌ لَأَنْ يَفْعَلَ**) أَيْ : لِأَنَّ فِعْلَهُ « اخْلَوْلَقَ » لازِمٌ ، فلا بُدَّ من تَعْدِيَتِهِ بِحَرْف جَرٍّ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ المَصْدَرَ إِنْ كَانَ مُؤَوَّلاً جَازَ حَذْفُ الجَارِّ مَعَهُ ، قَالَ : (**وَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَفْعَلَ**

، **عَلَى الحَذْف**) أَيْ : عَلَى حَذْف الجَارِّ ، وسَيَذْكُرُ فيمَا بَعْدُ أَنَّ المَصْدَرَ الصَّرِيحَ لَا يُحْذَفُ مَعَهُ الجَارُّ ، فَلَا يُقَالُ : إِنَّهُ خَلِيقٌ الفِعْلَ ، أَيْ : خَلِيقٌ للفعْلِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ فِي «عَسَى» ، فَقَالَ : (**وَتَقُولُ : عَسَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ، فَـــ « أَنْ » : هَا هُنَا بِمَنْزِلَتِهَا فِي قَولِكَ : قَارَبْتَ أَنْ تَفْعَلَ ، أيْ : قَارَبْتَ ذَاكَ**) أَيْ : بِمَنْزِلَةِ «قَارَبْتَ» من جهَةِ أَنَّ كِلَيهِمَا فِعْلٌ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِ الحَدَثِ ، ويَنْصِبُ مَا بَعْدَهُ ، فَكَمَا يَتَعَدَّى «قَارَبَ» بلا جَارٍّ ، فَكَذَلِكَ «عَسَى» ، ولِهَذَا قَدَّرَهُ بِـــ «قَارَبْتَ ذَاكَ» وذَلِكَ أَنَّ «عَسَى» ، رَجَاءٌ ، والرَّجَاءُ يَدُلُّ عَلَى الاسْتِقْبَالِ ، فمَا بَعْدَهُ فِي مَعْنَى المَفْعُولِ به ، فَإِذَا قُلْتَ : عَسَيْتُ أَنْ تَفْعَلَ ، فَعَلَى مَعْنَى : رَجَوْتُ فِعْلَكَ ، لَكِنَّ «قَارَبَ» يَدْخُل عَلَى «أَنْ» ، وعَلى المُفْرَدِ الصَّرِيحِ ؛ لِقَوْلِه – فِيمَا سَبَقَ – « قَارَبْتَ أَنْ تَفْعَلَ، أيْ : قَارَبْتَ ذَاكَ »، فَـــ «عَسَى» إِذَنْ تُشْبِهُ «قَارَبَ» مِنْ وَجْهٍ، وَهُوَ التَّعْدِيَةُ بِلَا جَارٍّ ، وتُشْبِهُ «دَنَا» ، و «اخْلَوْلَقَ» مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، وهِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْلِه : (**وَبِمَنْزِلَةِ : دَنَوتَ أَنْ تَفْعَلَ ، واخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ أَنْ تُمْطِرَ ، أَيْ : لِأَنْ تُمْطِرَ**) أَيْ : مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا لا تَدْخُلُ عَلَى المُفْرَدِ الصَّرِيحِ ، فلا تَقُولُ : عَسَى زَيْدٌ قَائمًا ، كَمَا لا تَقُولُ : دَنَوْتَ فِعْلَكَ ، ولا اخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ المَطَرَ ، لأَنَّ الرَّجَاءَ فِيهِمَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُون الحَدَثُ مُسْتَقْبَلاً ، والمَصْدَرُ الصَّرِيحُ لا يَدُلُّ عَلَى زَمَنٍ ، وأَمَّا «أَنْ والفِعْل» فمَصْدَرٌ لِـــمَا لَمْ يَقَعْ [٧٦] ، وتَفْتَرِقُ «دَنَا» و «اخْلَوْلَقَ» عَنْ «عَسَى» فِي أَنَّهُمَا قَدْ يَدْخُلَانِ عَلَى «أَنْ» بَوَاسِطَةِ الجَارِّ ، تَقُولُ : دَنَوْتَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ ، واخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ لِأَنَّ تُمْطِرَ ، وهَذَا لا يَكُون مَعَ «عَسَى» ، لِأَنَّ « دَنَا » لَيْسَ عَلَى مَعْنَى الرَّجَاءِ ، وأَمَّا « اخْلَوْلَقَ » فَإِنَّ الرَّجَاءَ فِيهَا غَيْر مُتَمَحِّضٍ .

قَالَ : (**وَعَسَيْتُ**) **أَيْ** : لِأَجْلِ مَعْنَى الرَّجَاءَ صَارَتْ (**بِمَنْزِلَةِ اخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ**) وإِنْ كَانَ الرَّجَاءَ فِي «عَسَى» أَظْهَرَ ، لكَنَّهُمَا لِأَجْلِ هَذَا المَعْنَى افْتَرَقَا عَنْ «دَنَا» ؛ فَإِنَّ «دَنَا» تَدْخُلُ عَلَى المَصْدَرِ الصَّرِيحِ بِوَاسِطَةِ الجَارِّ ، تَقُولُ : دَنَوْتُ مِنْ فِعْلِكَ ، قَالَ : (**وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ المَصْدَرَ**) أَيْ : الاسْمَ المُفْرَدَ الصَّرِيحَ (**هُنَا**) أَيْ : مَعَ «عَسَيْتُ» و «اخْلَوْلَقَتْ» ، وإِنْ كَانَ المُفْرَدُ هُوَ الأَصْلَ فِي الأَخْبَارِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ يَتْرُكُونَ الأَصْلَ وإِنْ كَانَ هُوَ الأَقْيَسَ ، فَلَا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، قَالَ : (**كَمَا لَمْ يَسْتَعْمِلُوا الاسْمَ الَّذِي الفِعْلُ فِي مَوْضِعِه**)

أَيْ : الَّذِي حَلَّ فِي مَوْضِعِهِ فِي بَعْضِ كَلَامِهِمْ ، قَالَ : (**كَقَوْلِكَ : اذْهَبْ بِذِي تَسْلَمُ**) يُرِيدُ أَنَّ «ذَا» اسْمٌ يُضَافُ إِلَى الِاسْمِ ، لَكِنَّهُمْ هُنَا أَضَافُوهُ إِلَى الفِعْلِ ، وكَانَ قِيَاسُهُ : اذْهَبْ بِذِي سَلَامَتِكَ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا هَذَا الأَصْلَ ، وكَذَلِكَ هُنَا ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا المُفْرَدَ سَوَاءٌ كَانَ مَعَ جَارٍّ ، أَوْ بِدُونِ جَارٍّ ، وإِنْ كَانَ هُوَ الأَصْلَ ، قَالَ : (**وَلَا يَقُولُونَ : عَسَيْتَ الفعْلَ ، ولَا : عَسَيْتَ لِلفعْلِ**) أَيْ : ولَا : اخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ المَطَرَ ، ولَا : اخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ لِلْمَطَرِ ، وإِنَّمَا يَقُولُونَ : عَسَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ ، واخْلَوْلَقَتِ السَّمَاءُ أَنْ تُمْطِرَ .

«لَا» النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ

*** المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ :**

قَالَ سِيبَوَيْهِ : (**و «لَا» تَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهَا فَتَنْصِبُهُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، ونَصْبُهَا لِمَا بَعْدَهَا كَنَصْبِ « إِنَّ » لِمَا بَعْدَهَا ، وتَرْكُ التنْوِينِ لِمَا تَعْمَلُ فِيهِ لَازِمٌ ، لِأَنَّهَا جُعِلَتْ ومَا عَمِلَتْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ ، نَحْوُ : خَمْسَةَ عَشَرَ ، وذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تُشْبِهُ سَائِرَ مَا يَنْصِبُ – مِمَّا لَيْسَ بِاسْمٍ – وهُوَ الفِعْلُ ، ومَا أُجْرِيَ مُجْرَاهُ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكِرَةٍ ، وَ «لَا» ومَا تَعْمَلُ فِيهِ فِي مَوْضِعِ ابْتِدَاءٍ ، فَلَمَّا خُولِفَ بِهَا عَنْ حَالِ أَخَوَاتِهَا ؛ خُولِفَ بِلَفْظِهَا ، كَمَا خُولِفَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ**) [٧٧] .

وقَد اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ بَعْدَ سِيبَوَيْهِ فِي نَصِّهِ هَذَا هَلْ أَرَادَ بِهِ بِنَاءَ اسْمِ «لَا» ، أَوْ نَصْبَهُ ؟ فَأَمَّا أَبُو العَبَّاسِ المُبَرِّدُ فَقَدْ أَتَى بِلَفْظَيْ النَّصْبِ والبِنَاءِ ، فَقَالَ : « اعْلَمْ أَنَّ «لَا» إِذَا وَقَعَتْ عَلَى نَكِرَةٍ نَصَبَتْهَا بِغَيْرِ تَنْوِينٍ » [٧٨] ، فَلَمْ يَبْتَعِدْ عَنْ عِبَارَةِ سِيبَوَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « فَأَمَّا تَرْكُ التَّنْوِينِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ لِأَنَّهَا جُعِلَتْ ومَا عَمِلَتْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ كَخَمْسَةَ عَشَرَ ، فَإِنْ قِيلَ : أَيَكُونُ الحَرْفُ مَعَ الاسْمِ اسمًا وَاحِدًا ؟ قِيلَ : هَذَا مَوْجُودٌ مَعْرُوفٌ ، تَقُولُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ ، فَـ «أَنْ» حَرْفٌ ، وهِيَ ومَا عَمِلَتْ فِيهِ اسْمٌ وَاحِدٌ ، والمَعْنَى : عَلِمْتُ انْطِلَاقَ زَيْدٍ ... وكَذَلِكَ «أَنْ» الخَفِيفَةُ مَعَ الفِعْلِ إِذَا قُلْتَ: أُرِيدُ أَنْ تَقُومَ يَا فَتَى إِنَّمَا هُوَ : أُرِيدُ قِيَامَكَ » [٧٩] .

ثُمَّ قَالَ : « وَهَذَا أَقَلُّ الأَقَاوِيلِ ؛ لأَنَّهَا لَا تَخْلُصُ لِمَعْرِفَةٍ دُونَ نَكِرَةٍ ، وَلَا نَكِرَةٍ دُونَ مَعْرِفَةٍ ؛ إِذْ كَانَ التَّكْرِيرُ وَالْبناءُ أَغْلَبَ ، فَالتَّكْرِيرُ : لَا زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَلَا عَمْرٌو ، وَلَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ ، وَالْبَنَاءُ : لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةَ » [٨٠] ، وأَرَادَ بِالبِنَاءِ جَعْلَ «لَا» مَعَ اسْمِهَا اسْمًا وَاحِدًا ، ولِهَذَا قَالَ فِي عَرْضِ الخِلَافِ فِي إِشْرَاكِ النَّعْتِ لِلاسْمِ فِي تَرْكِ التَّنْوِينِ : « وَحُجَّةُ مَنْ رَأَى أَنْ يَجْعَلَهُ مَعَ المَنْعُوتِ اسْمًا وَاحِدًا : أَنَّهُ يَقُولُ : لَمَّا كَانَ مَوضِعٌ يَصْلُحُ فِيهِ بِنَاءُ الِاسْمَيْنِ اسْمًا وَاحِدًا ؛ كَانَ بِنَاءُ اسْمٍ مَعَ اسْمٍ أَكْثَرَ مِنْ بِنَاءِ اسْمٍ مَعَ حَرْفٍ » [٨١] ، فَهَذَا مُرَادُهُ بِالبِنَاءِ ، ولَا أَدْرِي مَا الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ السِّيرَافِيُّ حِينَ قَالَ : « فَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ المُبَرِّدُ : إِنَّهَا بِنَاءٌ » [٨٢] مَعَ أَنَّ شَيْخَهُ ابنَ السَّرَّاجِ نَقَلَ عَنِ المُبَرِّدِ قَوْلَهُ : « فَالمَوْضِعُ مَوْضِعُ نَصْبٍ نَصَبَتْهُ «لَا» ، وسُقُوطُ التَّنْوِينِ لِأَنَّهُ جُعِلَ مَعَهَا اسْمًا وَاحِدًا » [٨٣] !

وأَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَ المُبَرِّدِ فَكَانَ لَهُمْ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ مَذْهَبَانِ :

المَذْهَبُ الأَوَّلُ : أَنَّهُ أَرَادَ البِنَاءَ المُشْبِهَ لِلْإِعْرَابِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي بَكْرِ بنِ السَّرَّاجِ ، وأَبِي الفَتْحِ بنِ جِنِّي ، وابنِ يَعِيشَ ، وعَزَاهُ أَبُو البَقَاءِ العُكْبَرِيُّ وأَبُو حَيَّانَ إِلَى أَكْثَرِ البَصْرِيِّينَ [٨٤] ، واخْتَارَهُ ابنُ مَالِكٍ ، والرَّضِيُّ ، وأَكْثَرُ المُتَأَخِّرِينَ ، كَأَبِي حَيَّانَ [٨٥] ، والمُرَادِيِّ [٨٦] ، وابنِ هِشَامٍ [٨٧] ، وابنِ عَقِيلٍ [٨٨] ، والسُّيُوطِيِّ [٨٩] .

أ - قَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ السَّرَّاجِ : « الفَتْحُ الَّذِي يُشْبِهُ النَّصْبَ هُوَ مَا جَاءَ مُطَّرِدًا فِي الأَسْمَاءِ النَّكِرَاتِ المُفْرَدَةِ ، ولَا تَخُصُّ اسْمًا بِعَيْنِهِ مِنَ النَّكِرَاتِ إِذَا نَفَيْتَهَا بِـ «لَا» ، وذَلِكَ قَوْلُكَ : لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ ، ولَا جَارِيَةَ ، فَأَيُّ اسْمٍ نَكِرَةٍ وَلِيَ «لَا» وكَانَ جَوَابًا لِمَنْ قَالَ : هَلْ مِنْ غُلَامٍ ؛ فَهُوَ مَفْتُوحٌ » [٩٠].

ب - وقَالَ ابنُ جِنِّي : « إِنَّمَا هَذِهِ فَتْحَةُ بِنَاءٍ وَقَعَتْ مَوْقِعَ فَتْحَةِ الإِعْرَابِ » [٩١] ، ولَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يُوحِيَ بِأَنَّ عِبَارَةَ سِيبَوَيْهِ تَعْنِي البِنَاءَ فَقَالَ : « اعْلَمْ أَنَّ «لَا» تَنْصِبُ النَّكِرَةَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ مَا دَامَتْ تَلِيهَا ، وتُبْنَى مَعَهَا عَلَى الْفَتْحِ كَخَمْسَةَ عَشَرَ » [٩٢]

ج – وقَالَ ابنُ يَعِيشَ : « إِذَا قُلْتَ : لَا رَجُلَ أَفْضَلُ مِنْكَ ، ولَا أَحَدَ خَيْرٌ مِنْكَ، ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، كَانَ مَبْنِيًّا مَفْتُوحًا ؛ لِوُجُودِ عِلَّةِ البِنَاءِ ، وَهُوَ تَضَمُّنُهُ مَعْنَى الحَرْفِ الَّذِي هُوَ«مِنْ» .. » (٩٣) .

د – وقَالَ ابنُ مَالِكٍ : « فَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا – أَيْ : غَيْرَ مُضَافٍ ولَا شَبِيهٍ بِهِ – بُنِيَ مَعَهَا عَلَى الفَتْحِ ؛ تَشْبِيهًا بِـــ « خَمْسَةَ عَشَرَ» (٩٤) .

هـــ – وقَالَ الرَّضِيُّ : « والحَقُّ أَنْ نَقُولَ : إِنَّهُ مَبْنِيٌّ لِتَضَمُّنِهِ لِـــ « مِنْ » الاسْتِغْرَاقِيَّةِ ، وذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَكَ : «لَا رَجُلَ» نَصٌّ فِي نَفْيِ الجِنْسِ ، بِمَنْزِلَةِ : «لَا مِنْ رَجُلٍ» .. فَلَمَّا أَرَادُوا التَّنْصِيصَ عَلَى الاسْتِغْرَاقِ ، ضَمَّنُوا النَّكِرَةَ مَعْنَى «مِنْ» فَبَنَوْهَا » (٩٥) .

المَذْهَبُ الثَّانِي : أَنَّهُ أَرَادَ الإِعْرَابَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي الحَسَنِ الأَخْفَشِ ، وأَبِي إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ ، وأَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ ، وأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، ونَقَلَهُ الفَارِسِيُّ عَنِ ابنِ السَّرَّاجِ (٩٦) ، ونَسَبَهُ أَبُو البَقَاءِ العُكْبَرِيُّ وأَبُو حَيَّانَ إِلَى الكُوفِيِّينَ (٩٧)

أ – قَالَ أَبُو الحَسَنِ الأَخْفَشُ : « قَالَ : ﴿ **لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ ، وقَالَ : ﴿ **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ ، فَنَصَبَهُمَا بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، وذَلِكَ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مَنْكُورٍ نَفَيْتَهُ بِـــ «لَا» ، وجَعَلْتَ «لَا» إِلَى جَنْبِ الاسْمِ ؛ فَهُوَ مَفْتُوحٌ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ؛ لِأَنَّ «لَا» مُشَبَّهَةٌ بِالفِعْلِ ، كَمَا شُبِّهَتْ «إِنَّ» و «مَا» بِالفِعْلِ » (٩٨) .

ب – وقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : « ومَوْضِعُ ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ نَصْبٌ ، قَالَ سِيبَوَيْهِ : «لَا» تَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهَا ، فَتَنْصِبُهُ ، ونَصْبُهَا لِمَا بَعْدَهَا كَنَصْبِ «إِنَّ» لِمَا بَعْدَهَا ، إِلَّا أَنَّهَا تَنْصِبُهُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، وزَعَمَ أَنَّهَا مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ » (٩٩) ، ونَقَلَ عَنْهُ السِّيرَافِيُّ قَوْلَهُ : « إِنَّهَا إِعْرَابٌ ... وإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِخَمْسَةَ عَشَرَ – يَعْنِي سِيبَوَيْهِ – لِأَنَّهَا لَا تُفَارِقُ مَا تَعْمَلُ فِيهِ ، كَمَا أَنَّ «خَمْسَةَ» لَا تُفَارِقُ «عَشَرَ» .. » (١٠٠) .

ج – وقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ – فِي شَرْحِ قَوْلِ شَيْخِهِ أَبِي بَكْرٍ : « مُعْرَبٌ يُشْبِهُ المَبْنِيَّ » – : « الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مُعْرَبٌ أَنَّكَ تَعْطِفُ عَلَيْهِ المَنْصُوبَ ، فَتَقُولُ : لَا رَجُلَ وغُلَامًا ، لَا أَبَ وابْنًا ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَنْصُوبًا ؛ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُعْطَفَ عَلَيْهِ بِالمَنْصُوبِ ، ولَا يُوصَفْ بِهِ

، فَهَذَا دَلِيلُ إِعْرَابِهِ ، والدَّلِيلُ عَلَى بِنَائِهِ أَنَّهُ لَمْ يُنَوَّنْ ، ولَوْ كَانَ غَيْرَ مَبْنِيٍّ لَوَجَبَ تَنْوِينُهُ ، فَهَذَا الاسْمُ بُنِيَ عَلَى الحَرَكَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْإِعْرَابِ » [١٠١] .

وقَوْلُهُ : « والدَّلِيلُ عَلَى بِنَائِهِ » يُرِيدُ بِهِ مَعْنَى قَوْلِ ابنِ السَّرَّاجِ : «يُشْبِهُ المَبْنِيَّ» ؛ فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : « قَوْلُ سِيبَوَيْهِ : «كَخَمْسَةَ عَشَرَ فِي اللَّفْظِ»، أَيْ «لَا رَجُلَ» مِثْلُ «خَمْسَةَ عَشَرَ» ، فِي أَنَّ الأَوَّلَ مَبْنِيٌّ مَعَ الثَّانِي ، كَمَا أَنَّ الأَوَّلَ مِنْ «خَمْسَةَ عَشَرَ» مَبْنِيٌّ مَعَ الثَّانِي ، إِلَّا أَنَّ «لَا» مُخَالِفَةٌ لِـــ «خَمْسَةَ» ؛ لِأَنَّ «لَا» عَمِلَتْ فِيمَا بَعْدَهَا النَّصْبَ ، و «خَمْسَةَ» لَمْ تَنْصِبْ «عَشَرَ» .. » [١٠٢] .

ب – وقَالَ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ : « والَّذِي عِنْدِي أَنَّ الفَتْحَةَ فِي الاسْمِ بَعْدَ «لَا» إِعْرَابٌ ، وَهُوَ مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : فَتَنْصِبُهُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، ونَصْبُهَا لِمَا بَعْدَهَا كَنَصْبِ «إِنَّ» لِمَا بَعْدَهَا » ، ويُعَلِّلُ لِسُقُوطِ التَّنْوِينِ بِمَا ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ عَنِ الخَلِيلِ : مِنْ أَنَّ «لَا» لَمَّا كَانَتْ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ بِنَكِرَةٍ مَجْرُورَةٍ بِـــ «مِنْ» ، أَيْ : هَلْ مِنْ رَجُلٍ فِي الدَّارِ ؛ أَشْبَهَتْ حَرْفَ الجَرِّ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكِرَةٍ ، ولَمَّا أَشْبَهَتْ حَرْفَ الجَرِّ وكَانَ الجَارُّ والمَجْرُورُ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ ، أُجْرِيَتْ «لَا» مَعَ اسْمِهَا مُجْرَى الجَارِّ والمَجْرُورِ ، فَجُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا مِثْلَهُمَا ، ولِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمَا صَارَا شَيْئًا وَاحِدًا حَذَفُوا التَّنْوِينَ [١٠٣] .

وبِالعَوْدِ إِلَى عِبَارَاتِ سِيبَوَيْهِ تَرَاهُ يَقُولُ : (و «**لَا**» **تَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهَا فَتَنْصِبُهُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، ونَصْبُهَا لِمَا بَعْدَهَا كَنَصْبِ « إِنَّ » لِمَا بَعْدَهَا**) فَنَصَّ عَلَى النَّصْبِ ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِكَوْنِهِ كَنَصْبِ « إِنَّ » لِمَا بَعْدَهَا ، ثُمَّ قَالَ : (**وتَرْكُ التَنْوِينِ لِمَا تَعْمَلُ فِيهِ لَازِمٌ**) وهَذَا مِمَّا يُرَجِّحُ كِفَّةَ القَائِلِينَ بِالإِعْرَابِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ أَرَادَ البِنَاءَ لَمَا احْتَاجَ أَنْ يَنْفِيَ التَّنْوِينَ ؛ لِأَنَّ المَبْنِيَّ قَطْعًا لَا يُنَوَّنُ ، فَهُوَ إِذَنْ نَصْبٌ يُشْبِهُ البِنَاءَ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ التَنْوِينِ فَقَطْ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ بِنَاءً ، وإِنَّمَا لَزِمَ طَرْحُ التَنْوِينِ لِمَا ذَكَرَهُ بَعْدُ بِقَوْلِهِ : (**لِأَنَّهَا جُعِلَتْ ومَا عَمِلَتْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ**) أَيْ : أَنَّ «لَا» واسْمَهَا لَا يُفْصَلُ بَيْنَهُمَا ، فَصَارَا لِأَجْلِ هَذَا التَّلَازُمِ كَالاسْمِ الوَاحِدِ (**نَحْوُ : خَمْسَةَ عَشَرَ**) فَإِنَّ تَلَازُمَ «لَا» واسْمِهَا كَتَلَازُمِ جُزْأَيِ المُرَكَّبِ ، لَكِنَّ المُرَكَّبَ مَبْنِيٌّ ، وأَمَّا اسْمُ «لَا» فَمُعْرَبٌ، لِأَنَّ التَرْكِيبَ إِنَّمَا صَحَّ فِي العَدَدِ لِأَنَّ طَرَفَيْهِ اسْمَانِ، وأَمَّا

«لَا» فَهِيَ حَرْفٌ ، فَلا تُرَكَّبُ مَعَ الاسْمِ هَذَا التَّرْكِيبَ ، قَالَ : (**وذَلِكَ**) أَيْ : التَّلَازُمُ إِنَّمَا كَانَ (**لأَنَّهَا لَا تُشْبِهُ سَائِرَ مَا يَنْصِبُ – مِمَّا لَيْسَ بِاسْمٍ – وهُوَ الفِعْلُ ، ومَا أُجْرِيَ مُجْرَاهُ**) أَيْ : لَمَّا كَانَ عَمَلُهَا غَيْرَ أَصْلِيٍّ ، لَمْ تَتَصَرَّفْ تَصَرُّفَ الفِعْلِ ، بَلْ كَانَتْ أَقَلَّ تَصَرُّفًا مِنْهُ لأَجْلِ هَذَا التَّلَازُمِ ، قَالَ : (**لأَنَّهَا لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكِرَةٍ**) أَيْ : ولأَنَّهَا إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي اللَفْظِ دُونَ المَحَلِّ (**وَ**) لِذَلِكَ فَإِنَّ («**لَا**» **ومَا تَعْمَلُ فِيهِ فِي مَوْضِعِ ابْتِدَاءٍ**) أَيْ : بِمَنْزِلَةِ « هَلْ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَكَ ؟ » ؛ فَإِنَّ «مِنْ» و «أَحَدٍ» فِي مَوْضِعِ المُبْتَدَأ ، و «عِنْدَكَ» خَبَرٌ عَنْ «أَحَدٍ» ، لَا عَنْ «مِنْ» ولَا عَنْ «هَلْ» ، قَالَ : (**فَلَمَّا خُولِفَ بِهَا عَنْ حَالِ أَخَوَاتِهَا**) أَيْ : عَنْ حَالِ «إِنَّ» وسَائِرِ الأَحْرُفِ النَّاسِخَةِ حِينَ اخْتَصَّتْ بِالنَّكِرَاتِ، وعَمِلَتْ فِي اللَفْظِ دُونَ المَحَلِّ (**خُولِفَ بِلَفْظِهَا**) بِأَنْ حَذَفُوا التَّنْوِينَ (**كَمَا خُولِفَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ**) سَائِرُ الأَعْدَادِ المَعْطُوفَةِ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ :« إِلَّا أَنَّ «لَا» مُخَالِفَةٌ لِـ «خَمْسَةَ» ؛ لأَنَّ «لَا» عَمِلَتْ فِيمَا بَعْدَهَا النَّصْبَ ، و «خَمْسَةَ» لَمْ تَنْصِبْ « عَشَرَ» .. »(١٠٤) .

وإِذْ تَبَيَّنَ أَنَّ عِبَارَةَ سِيبَوَيْهِ لَمْ تَنْصُرْ القَائِلِينَ بِالبِنَاءِ ، بَلْ كَانَتْ أَظْهَرَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الإِعْرَابِ ؛ فَإِنَّ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ المُعْرِبِينَ مِنْ تَقْرِيرِ البِنَاءِ لَمْ يَكُنْ مِنَ التَّحْقِيقِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى سِيبَوَيْهِ .

الخَاتِمَةُ

١ – لَمْ يُخَالِفْ أَحَدٌ فِي أَنَّ فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ عِبَارَاتٍ اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي تَفْسِيرِهَا ، ولَا أَنَّهُ قَدْ نُسِبَ فِي كُتُبِ النَّحْوِ إِلَى سِيبَوَيْهِ القَوْلُ ونَقِيضُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ المَسَائِلِ ، مَعَ أَنَّ عِبَارَتَهُ فِيهَا وَاحِدَةٌ .

٢ – ويَسْتَظْهِرُ البَاحِثُ أَنَّ ذَلِكَ أَثَرٌ لِكَوْنِ سِيبَوَيْهِ أَلَّفَ كِتَابَهُ قَبْلَ وُجُودِ طَائِفَةٍ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ، وقَبْلَ اسْتِقْرَارِ طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنْهَا .

٣ – وَوَفْقًا لِمَا يَقْتَضِيهِ التَّحْقِيقُ – مِنْ ضَرُورَةِ إِعَادَةِ قِرَاءَةِ عِبَارَتِهِ مَعَ مُقَارَنَتِهَا بِأُسْلُوبِهِ فِي سَائِرِ الكِتَابِ – أَخَذَ البَاحِثُ بِهَذَا المَسْلَكِ فِي أَبْوَابِ النَّوَاسِخِ مِنَ الكِتَابِ .

٤ – ووَقَفَ البَاحِثُ – فِي تِلْكَ الأَبْوَابِ – عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً نَدَّ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ عَنْ مَقْصُودِ سِيبَوَيْهِ .

٥ – نَاقَشَهُمْ البَاحِثُ بِكَلَامِ سِيبَوَيْهِ جُمْلَةً جُمْلَةً ، لِيَصِلَ إِلَى الوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ سِيبَوَيْهِ ، مُؤَيِّدًا كُلَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِمَّا بِصَرِيحِ عِبَارَتِهِ ، وإِمَّا بِإِشَارَةٍ مِنْ عُلَمَاءَ **آخَرِينَ** .

ثبت المصادر والمراجع

ارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي (تحقيق د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – مطبعة المدني – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م).

أسرار العربية، أبو البركات الأنباي (تحقيق محمد بهجة البيطار – مطبوعات المجمع العربي بدمشق).

الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج (تحقيق عبد الحسين الفتلي – الناشر مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت).

أمالي ابن الحاجب (دراسة وتحقيق د. فخر صالح سليمان قدارة – الناشر دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت – عام النشر ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين بن هشام (تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي – الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في مجازات العرب، الأعلم الشنتمري (مطبوع في حواشي كتاب سيبويه – بولاق ١٣١٧هـ).

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (تحقيق د. حسن هنداوي – الناشر دار القلم – دمشق من ١ إلى ٥، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا).

التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسيّ (تحقيق د. عوض بن حمد القوزي – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، أبو الحسن بن خروف (دراسة وتحقيق خليفة محمد خليفة بديري – منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنية الحفاظ على التراث الإسلامي).

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بن قاسم المرادي (شرح وتحقيق عبد الرحمن علي – الناشر دار الفكر العربي – الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م).

الخصائص، أبو الفتح بن جني (الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الرابعة).

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (تحقيق د. أحمد محمد الخراط – دار القلم بمدمشق ١٤٠٦هـ).

شرح التسهيل، ابن مالك الطائي الأندلسي (تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون – الناشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

شرح الكافية الشافية، ابن مالك الطائي الأندلسي (تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي – الناشر جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرمة – الطبعة الأولى).

شرح الكافية لابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي النحوي، (تحقيق أ. د. يوسف حسن عمر – الناشر جامعة قار يونس – ليبيا – ١٣٩٥ – ١٩٧٥م).

شرح المفصل، أبو البقاء ابن يعيش (تقديم د. إميل بديع يعقوب – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).

شرح جمل الزجاجي، أبو الحسن بن خروف (تحقيق ودراسة د. سلوى محمد عمر عرب – نشر جامعة أم القرى ١٤١٨هـ).

شرح كتاب سيبويه، أبو الفضل الصفار البطليوسي (تحقيق د. معيض بن مساعد العوفي – دار المآثر – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ).

شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ).

شرح كتاب سيبويه، علي بن عيسى الرماني (تحقيق ودراسة محمد إبراهيم يوسف شيبة – رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤١٤ – ١٤١٥هـ – غير منشورة).

الكتاب، سيبويه (تحقيق عبد السلام محمد هارون – الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيلن أبو القاسم الزمخشري (الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ).

اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري (تحقيق د. عبد الإله النبهان – الناشر دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).

اللمع،أبو الفتح بن جني (عالم الكتب – ١٣٩٩هـ).

المسائل البصريات، أبو علي الفارسي (تحقيق محمد الشاطر أحمد محمد أحمد – مطبعة المدني ١٤٠٥هـ).

المسائل العسكرية، أبو علي الفارسي (تحقيق محمد الشاطر أحمد محمد – مطبعة المدني – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ).

المسائل المنثورة، أبو علي الفارسي (تحقيق محمد مصطفى الحدري – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق).

معاني القرآن للأخفشن معاني القرآن، أبو الحسن الأخفش الأوسط (تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة – الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (تحقيق عبد الجليل عبده شلبي – الناشر عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين، ابن هشام (تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله – الناشر دار الفكر – دمشق – الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م).

المقتضب، أبو العباس المبرد (تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – الناشر عالم الكتب – بيروت).

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، أبو بكر جلال الدين السيوطي (تحقيق عبد الحميد هنداوي – الناشر المكتبة التوفيقية – مصر).

الهوامش

(١) الكتاب ١ / ٤٥ .

(٢) شرح الكتاب للصفار ٢ / ٨٠٥ .

(٣)قال في المسائل العسكرية / ٩٦ : « .. لأَنَّ في هَذِهِ الأمثِلة ما هُوَ عند النحويين دال عَلَى زمن غَيْر مقترن بحدث ، وذَلِكَ «كَانَ » المفتقرة إلى الخبر المنصوب ، هُوَ عندهم فعل ، مع ذَلِكَ فهُوَ دال عَلَى الزمان مجردا من الحدث ، ومن ثم لزمه الخبر المنصوب ، و لم يستعمل في الكلام إلا به » .

(٤)قال في اللمع / ١١٩ (عالم الكتب ١٣٩٩ هـــ) : « باب كَانَ وأخواتها : وهِيَ كَانَ ، وصَارَ .. وما تَصَرَّفُ منهن ، وما كَانَ في معناهن ، مما يَدُلّ عَلَى الزمان المجرد من الحدث »

(٥)قال في أسرار العربية ١ / ١٣١ : « أما « كَانَ » فتنقسم عَلَى خمسة أوجه ، الوجه الأول : أنها تكون ناقصة ، فتَدُلّ عَلَى الزمان المجرد عَن الحدث » ، وقال في الإنصاف : « أما « كَانَ » فَلَيْسَ فعلا حقيقا ، بل يَدُلّ عَلَى الزمان المجرد عَن الحدث ، ولهَذَا يسمى فعل العبارة » .

(٦)قال في اللباب ١ / ١٠٧ ، ١٧١ : « كَانَ وأخواتها أَفْعَال خلعت دلالتها عَلَى الحدث ، وبقيت دلالتها عَلَى الزمان » ، قال : « ولا تؤكد كَانَ بالمصدر ؛ لأَنَّ المصدر دال عَلَى الحدث ، والنَّاقِصَة لا تَدُلّ عليه ».

(٧)قال في شرح المفصل ٧ / ٨٩ : « وأما كونها ناقصة فأن الفِعْل الحقيقي يَدْخُل عَلَى معنى وزمان ، نحو قولك : ضرب ، فإنه يَدُلّ عَلَى ما مضى من الزمان ، وعلى معنى الضرب ، و « كَانَ » إِنَّمَا تَدُلّ عَلَى ما مضى من الزمان فقط » .

(٨) شرح الكافية ٢ / ٢٩٠ .

(٩) قال في الارتشاف ٢ / ٧٥ : « والمشهور والمنصور أنها تَدُلّ عَلَى الحدث والزمان ، وأن الحدث مسند إلى الجملة »

(١٠) قال ، شرح التسهيل ١ / ٣٣٨ – ٣٤٠ : « زعم جماعة منهم ابن جني وابن برهان ، والجرجاني ، أن كَانَ وأخواتها تَدُلّ عَلَى زمن وقوع الحدث ، ولا تَدُلّ عَلَى حدث ، ودعواهم باطلة من عشرة أوجه » ، ثم ساق الأوجه ، وأبرز ما فيها : أن كل فعل فلا بدل من دلالته عَلَى المعنيين : الزمان والحدث ، وأن « انفك » لو كَانَ لأجل الزمان فقط لأغنى عنه : ما زيد قائما في وقت من الأوقات الماضية ، وهَذَا نقيض المُرَاد ، وأنه قَدْ ثبت لـــ « كَانَ » مصدر ، والمصدر فيه حدث ، إجماعا ، وقَدْ أكدوا بالمصدر فقالوا : كَانَ كونا ، والتأكيد لا يأتي بحدث جديد ، وأن هَذِهِ الأَفْعَال لو كَانَتْ مجردة من الحدث لما صح أن يبنى منها أمر ، وقَدْ قال الله تعالى : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ ﴾ .

(١١) الكتاب ١ / ٤٦ .

(١٢) شرحه على الكتاب ٢ / ٨١١ – ٨١٢ .

(١٣) شرح الكتاب ١ / ٣٠١ .

(١٤) الكتاب ١ / ٤٧ .

(١٥) شرحه على الكتاب ٢ / ٨١٩ – ٨٢٠ .

(١٦) تحصيل عين الذهب ١ / ٢٢ .

(١٧) ينظر : التعليقة ١ / ٨١ – ٨٢ .

(١٨) تحصيل عين الذهب ١ / ٢٢ – ٢٣ .

(١٩) الكتاب ١ / ١ / ٤٩ - ٥٠ .

(٢٠) الارتشاف ٣ / ١١٧٦ .

(٢١) شرحه على الكتاب ١ / ٢١٩ .

(٢٢) الهمع ١ / ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٢٣) الارتشاف ٣ / ١١٧٦ ، الهمع ١ / ٤٣٣ .

(٢٤) الارتشاف ٣ / ١١٧٦ .

(٢٥) الارتشاف ٣ / ١١٧٥ .

(٢٦) الارتشاف ٣ / ١١٧٥ .

(٢٧) الارتشاف ٣ / ١١٧٦ .

(٢٨) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٢٩) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣٠) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣١) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣٢) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣٣) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣٤) قال : « ولما كَانَ المَرْفُوع هُنَا مشبها بالفاعل ، والمنصوب مشبها بالمفعول جاز أن يغني هُنَا تعريف المنصوب عَن تعريف المَرْفُوع ، كَمَا جاز ذَلِكَ في باب الفاعل ، لَكِن بشرط الفائدة ، وكون النَّكِرَة غَيْر صفة محضة، فمن ذَلِكَ قول حسان » وساق البيت الآتي بعد قليل إِنْ شَاءَ اللهُ. شرح التسهيل ١ / ٣٥٦.

(٣٥) المقتضب ٤ / ٩٣ .

(٣٦) الكتاب ١ / ٤٨ .

(٣٧) ينظر : شرح الكتاب للسيرافي ١ / ٣٠٥ – ٣٠٦ ، شرح الكتاب للصفار ٢ / ٨٣١ – ٨٣٥ .

(٣٨) حاشية المقتضب ٤ / ٩٣ ، وسيتبين قريبا – بإذن الله – أن هذا لا يصح مذهبا لسيبويه ، وأما نسبته إياه إلى المبرد ؛ فقد بناها على أن المبرد لم يتعرض لما ذكره سيبويه بالرد في « المقتضب » ، ولا في « مسائل الغلط » ، فلما لم يذكره ؛ كَانَ ذَلِكَ مشككا – لديه – في صحة ما نقله ابن يعيش عَن المبرد ، وهو قوله : « وقَدْ رد أبو العباس المبرد عَلَى سيبويه الاستشهاد بِهَذَا البيت ، وقال اسم « كَانَ » هُنَا مضمر في « كَانَ » يَعُودُ عَلَى الظي ، والمضمرات كلها معارف ، وأمك الخبر ، فحصل من ذَلِكَ أن الاسم والخبر معرفتان ، وذَلِكَ جائز »وفيما قاله نظر ؛ فإن ابن يعيش لم ينفرد بنسبة ذلك إليه ، فقد قال الرماني : « وأبو العباس يخالفه في هَذَا ، ويقول : إنَّ « كَانَ » فيها ضَمِير معرفة ، واسمها وخبرها معرفة أيضا ، فهُوَ من باب ما اسم « كَانَ » فيه وخبرها كلاهما معرفة » ، وقال أبو حيان : « وزعم المبرد أن اسم « كَانَ » ضَمِير فيها ، والضمير معرفة ، فهُوَ عِنْدَهُ فصيح » ، وإذا نقل هذا عدد من الأئمة ؛ فلا سبيل إلى التشكيك فيما نقلوه لمجرد أن المبرد لم يصرح به في كتابه .

(٣٩) المسائل المنثورة / ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٤٠) شرحه على الكتاب ١ / ٢٢٠ .

(٤١) شرح الكافية ٤ / ٢٠٨ (يوسف حسن) .

(٤٢) شرح الكافية ٤ / ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٤٣) المغني/ ٧٦٨ .

(٤٤) الكتاب ١ / ٥٩ – ٦٠ .

(٤٥) شرح التسهيل ١ / ٣٧٣ .

(٤٦) شرح الكتاب للرماني ١ / ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٤٧) الكتاب ٢/ ١٤٧ .

(٤٨) المقتضب ٤ / ١١٣ .

(٤٩) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٥٠) الأصول ١ / ٢٥١ .

(٥١) شرح المفصل ٤ / ٥٤١ (إميل يعقوب) .

(٥٢) شرح التسهيل ٢ / ٤٩ .

(٥٣) شرح التسهيل ٢ / ٤٨ .

(٥٤) الدر المصون ٤ / ٣٥٧ .

(٥٥) الكشاف ٣ / ٥٩١ .

(٥٦) شرح الكافية ٢ / ٣٥٤ .

(٥٧) الكتاب ٢ / ١٥٣ .

(٥٨) المقتضب ٤ / ١١٧ .

(٥٩) وجَزَمَ الصَّفَّارُ – فِي «شَرْحِ الكِتَابِ» ٢ / ٧٧٨ – بِأَنَّهُ جَعَلَهَا تَامَّةً ، فَقَالَ : « أَمَّا أَبُو سَعِيدٍ – رَحِمَهُ اللهُ – فَادَّعَى أَنَّهَا تَامَّةٌ ، ولَهَا فَاعِلٌ ، لِأَنَّ الفِعْلَ لَا يَخْلُو مِنَ الفَاعِلِ .. وزَعَمَ الفَارِسِيُّ أَنَّهَا النَّاقِصَةُ ، ولَا فَاعِلَ لَهَا ، وَهُوَ الصَّحِيحُ » .

(٦٠) شرح الكتاب ٢ / ٤٧٩ – ٤٨٠ .

(٦١) شرح الكتاب ١ / ٢٩٦ .

(٦٢) شرح الجمل ١ / ٤٤٦ .

(٦٣) شرح التسهيل ١ / ٣٦١ .

(٦٤) شرح الكافية ٤ / ١٩٣ .

(٦٥) ذَكَرَ ابنُ يَعِيشَ – فِي «شَرْحِ المُفَصَّلِ» ٤ / ٣٤٧ – مِنْ وُجُوهِ «كَانَ» أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً ؛ دُخُولُهَا كَخُرُوجِهَا ، لَا عَمَلَ لَهَا فِي اسْمٍ ولَا خَبَرٍ ، واخْتَارَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « وإِلَيْهِ كَانَ يَذْهَبُ ابنُ السَّرَّاجِ ، وسَاقَ قَوْلَهُ – فِي «الأُصُولِ» ٢ / ٢٥٩ – : « وحَقُّ المُلْغَى عِنْدِي أَنْ لَا يَكُونَ عَامِلًا ولَا مَعْمُولًا فِيهِ ، حَتَّى يُلْغَى مِنَ الجَمِيعِ ، وأَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ كَخُرُوجِهِ ، لَا يُحْدِثُ مَعْنًى غَيْرَ التَّأْكِيدِ » ، ثُمَّ أَكَدَ أَنَّ الزَّائِدَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ ، فَقَالَ : « ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ الأَئِمَّةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى : ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾: إِنَّ «كَانَ» فِي الآيَةِ زَائِدَةٌ ، ولَيْسَتِ النَّاقِصَةَ ، إِذْ لَوْ كَانَتِ النَّاقِصَةَ ؛ لَأَفَادَتِ الزَّمَانَ ، ولَوْ أَفَادَتِ الزَّمَانَ ، لَمْ يَكُنْ لِعِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فِي ذَلِكَ مُعْجِزَةٌ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ ، فَلَوْ كَانَتِ الزَّائِدَةُ تُفِيدُ مَعْنَى الزَّمَانِ ؛ لَكَانَتْ كَالنَّاقِصَةِ ، ولَمْ يَكُنْ لِلْعُدُولِ إِلَى جَعْلِهَا زَائِدَةً فَائِدَةٌ » ولَيْسَ كَمَا ذَكَرَ ؛ فَإِنَّ ابنَ السَّرَّاجِ لَمْ يَتَعَرَّضْ هُنَا لِـــ «كَانَ» ، وإِنَّمَا حَدِيثُهُ عَنْ زِيَادَةِ الحَرْفِ كَالبَاءِ ومِنْ فِي الخَبَرِ المَنْفِيِّ ، نَحْوُ : لَيْسَ زَيْدٌ بِقَائِمٍ ، ومَا مِنْ رَجُلٍ فِي الدَّارِ ، ولِهَذَا أَتْبَعَ كَلَامَهُ المُتَقَدِّمَ بِقَوْلِهِ : « وهَذِهِ الحُرُوفُ الَّتِي خُفِضَ بِهَا قَدْ دَخَلَتْ لِمَعَانٍ غَيْرِ التَّأْكِيدِ » ، وأَمَّا «كَانَ» فَقَدْ نَصَّ ابنُ السَّرَّاجِ عَلَى أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ ولَوْ كَانَ زَائِدًا ، قَالَ : « ولَا يَجُوزُ عِنْدَنَا أَنْ يُلْغَى فِعْلٌ يَنْفُذُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ ، ولَكِنَّ المُلْغَى نَحْوُ : «كَانَ» فِي قَوْلِكَ : مَا – كَانَ – أَحْسَنَ زَيْدًا ، الكَلَامُ : مَا أَحْسَنَ زَيْدًا ، و «كَانَ» إِنَّمَا جِيءَ بِهَا لِتُبَيِّنَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِيمَا مَضَى » .

(٦٦) المسائل البصريات ٢ / ٨٧٥ .

(٦٧) التذييل والتكميل ٤ / ٢٢١ .

(٦٨)

(٦٩) قَالَ ابنُ يَعيشَ : « لأَنَّكَ لَوْ جَعَلْتَ لَهَا اسْمًا وخَبَرًا ؛ لَكَانَ التَّقْديرُ : إنَّ زَيْدًا كَانَ مِنْ أَفْضَلِهِمْ ، وكُنْتَ قَدْ قَدَّمْتَ الخَبَرَ عَلَى الاسْمِ ، ولَيْسَ بِظَرْفٍ ، وذَلِكَ لَا يَجُوزُ » ، وقَالَ أَبُو حَيَّانَ : « وزَعَمَ الْمُبَرِّدُ والرُّمَّانِيُّ أَنَّ زَيْدًا اسْمُ «إنَّ» ، واسْمُ «كَانَ» مُضْمَرٌ فِيهَا ، و «مِنْ أَفْضَلِهِمْ» خَبَرُ «كَانَ» ، و «كَانَ» واسْمُهَا وخَبَرُهَا فِي مَحَلِّ خَبَرِ «إنَّ» ، وهَذَا خَطَأٌ مَحْضٌ ؛ لِجَعْلِ خَبَرِ «إنَّ» جُمْلَةً مَفْصُولًا بِهَا بَيْنَهَا وبَيْنَ اسْمِهَا ، وهَذَا لَا يُجيزُهُ أَحَدٌ » ، وقَالَ الرَّضِيُّ : « وقَالَ الْمُبَرِّدُ : إنَّ زَيْدًا اسْمُ «إنَّ» ، و «كَانَ» خَبَرُهَا ، ومِنْ أَفْضَلِهِمْ خَبَرُ «كَانَ» ، ورُدَّ : بِأَنَّ خَبَرَ «إنَّ» لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى اسْمِهَا إلَّا إذَا كَانَ ظَرْفًا » ، وقَالَ ابنُ هِشَامٍ وَمِنَ الْوَهْمِ فِي هَذَا قَولُ الْمُبَرِّدِ فِي قَوْلِهِمْ : «إنَّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ كَانَ زَيْدًا» : إنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى زِيَادَةِ «كَانَ» كَمَا قَالَ سِيبَوَيْهِ ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ تُقَدَّرَ «كَانَ» نَاقِصَةً ، وَاسْمُهَا ضَمِيرَ زَيْدٍ ؛ لأَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ رُتْبَةً ؛ إذْ هُوَ اسْمُ «إنَّ» ، وَ«مِنْ أَفْضَلِهِمْ» خَبَرَ «كَانَ» ، وَ «كَانَ» ومَعْمُولَاهَا» خَبَرَ «إنَّ» ، فَلَزِمَهُ تَقْدِيمُ خَبَرِ «إنَّ» عَلَى اسْمِهَا مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ ظَرْفًا وَلَا مَجْرُورًا ، وَهَذَا لَا يُجِيزُهُ أَحَدٌ » ينظر : شرح المفصل ٧ /٩٩ ، شرح الكافية ٤ / ١٩١ ، الارتشاف ٢ / ٧١ ، المغني / ٧٦٦ .

(٧٠) قَالَ ابنُ الحَاجِب فِي «الأَمَالِي» ١ / ١٥٨ : « لِأَنَّ حَذْفَ ضَمِيرِ الشَّأْنِ الْمَذْكُورِ لَمْ يَثْبُتْ إلَّا شَاذًّا فِي مِثْلِ قَوْلِهِمْ : « إنَّ مَنْ يَدْخُلِ الكَنِيسَةَ يَوْمًا ، وعَلَى ثُبُوتِهِ فَهُوَ ضَعِيفٌ بِاتِّفَاقٍ »

(٧١) قَالَ ابنُ يَعيشَ فِي «شَرْحِ الْمُفَصَّلِ» ٤ / ٣٤٧ – ٣٤٨ : « والْمُرَادُ : إنَّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ زَيْدًا ، و «كَانَ» مَزِيدَةٌ لِضَرْبٍ مِنَ التَّأْكِيدِ ؛ إذِ الْمَعْنَى : أَنَّهُ فِي الحَالِ أَفْضَلُهُمْ ، ولَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى ؛ إذْ لَا مَدْحَ فِي ذَلِكَ » .

(٧٢) الكتاب ٣ / ١٣٣ .

(٧٣) شرح الكتاب ٣ / ٣٥٥ .

(٧٤) الكتاب ٣ / ١٥٧ – ١٥٨ .

(٧٥) تنقيح الألباب / ٢٤٨ .

(٧٦) شرح التسهيل ١ / ٣٩٤ .

(٧٧) قَالَ الْمُبَرِّدُ – فِي «الْمُقْتَضَبِ» ٣ / ٦٩ – : « ولَا تَقُلْ : عَسَيْتُ القِيَامَ ، وإنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ القِيَامَ لَا دَلِيلَ فِيهِ يَخُصُّ وَقْتًا مِنْ وَقْتٍ ، و «أَنْ أَقُومَ» مَصْدَرٌ لِقِيَامٍ لَمْ يَقَعْ ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَقَعْ بَعْدَهَا ، وَوَقَعَ الْمُسْتَقْبَلُ » .

(٧٨) الكتاب ٢/ ٢٧٤ .

(٧٩) المقتضب ٤ / ٣٥٧ .

(٨٠) المقتضب ٤ / ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٨١) المقتضب ٤ / ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٨٢) المقتضب ٤ / ٣٦٧ .

(٨٣) شرح الكتاب ٣ / ١٥ .

(٨٤) الأصول ١ / ٣٨١ .

(٨٥) اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ١ / ٢٢٧ ، الارتشاف ٢ / ١٣١ .

(٨٦) التذييل والتكميل ٥ / ٢٤٩ .

(٨٧) توضيح المقاصد ١ / ٥٤٦ .

(٨٨) أوضح المسالك ٢ / ٧ .

(٨٩) شرح الألفية ٢ / ٨ .

(٩٠) الهمع ١ / ٥٢٢ .

(٩١) الأصول ١ / ٣٧٩ .

(٩٢) الخصائص ٣ / ٥٨ .

(٩٣) الخصائص ٣ / ٥٨ .

(٩٤) شرح المفصل ٢ / ٩٢ .

(٩٥) شرح الكافية الشافية ١ / ٥٢٢ .

(٩٦) شرح الكافية ١ / ٢٥٦ .

(٩٧) قَالَ فِي «التَّعْلِيقَةِ» ٢ / ١٨ : « قَالَ أَبُو بَكْرٍ : « «لَا رَجُلَ» : مُعْرَبٌ يُشْبِهُ الْمَبْنِيَّ » .

(٩٨) اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ١ / ٢٢٧ ، الارتشاف ٢ / ١٣٢ .

(٩٩) معاني القرآن ١ / ٢٤ .

(١٠٠) معاني القرآن وإعرابه ١ / ٦٩ .

(١٠١) شرح الكتاب ٣ / ١٤ - ١٥ .

(١٠٢) التعليقة ٢ / ١٩ .

(١٠٣) التعليقة ٢ / ٢٢ - ٢٣ .

(١٠٤) شرح الكتاب ٣ / ١٤ - ١٥ .

(١٠٥) التعليقة ٢ / ٢٢ - ٢٣ .